الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

فاء يسمبر

فيروز محمد

نصوص

فيروز محمد
فاء يسمبر
نصوص

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

حجرٌ كريمٌ ، ودمعٌ شحيح
ودُعاءُ ثكلى ، عانقَ أعمدة السحاب
عفوك ورضاك ثم الجنة يا رب

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
ISBN 978-614-01-1401-2
جميع حقوقنا محفوظة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات
www.nwf.com
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

فَاءُ دِيسمبرَ

فيروُز محمَد المطرفي

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

2015 م - 1436 هـ

ردمك 978-614-01-1401-2

جميع الحقوق محفوظة

توزيع

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف:

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

ليسَ لِشخص بينَ هذه الأحرف مكان

تمتمَات سقطت يوماً، لا يدري بحالِها

سوى قلبي وبضعِ دمع.

فيروز محمد المَطرفي

1430هـ

‘

غجَرِيةُ الدّف
تَضرب الأرضَ كِبرِياءً بريئاً بِصَدى خُلخالِها
تتزِفُ راقِصةً أحرُفاً حَزِينةً بِفَرح
مُرتَديةً حَجرَ اسمي (فيروز)
حَجرٌ كَريمٌ، عَزيزُ النَفس مُقلَّد لا يُطال ولا يسقُط
ولا ينحني.

‘

تشقَّقَتِ الرُّوحُ وتألمَتْ بِشدَّة
حتّى القَلبُ تحجَّرَ
وأَبى جَسدُها أن يلفُظَهُ على أيِّ طريق
شعَرتْ بأَنهَّا غريبَة
لا بأسَ لوْ أنَّ دموعَها اختلطَتْ مع الأمطار
وبأنهَّا طفلةٌ يتيمة
لا بأَس لو احتَضنَت دميتَها وَغفَتْ بعدَ أن بلعَتْ غصَّتَها
وَأيقنَت بأنّ حُسْنَهم وهَم

شعرَت بالكثيرِ والكثيرِ مِنَ الأَسى
والقليل كَصغرِ الفُسيفساء مِنَ الأمَل

لا أحَد وَربِّي لا أحَد
سيَرى نبضَ قلبِها بِما حوى

،

نحيبٌ مِن محرابِ قلبي يُصلِّي
بعدَ أن أوجَعَهُ جُرْحُ الغاضِبين
فَترقُصُ آهاتي على شجَنِ بُكائي الحَزين
مرمِيَّةٌ أنا يا روُحي في زَمنِ الغابِرين

تتهاوتُ الأكفان
بعد أن امتلأت مِن حقدِ الظالِمين
أَقسوُ على نفسي قبل قَسْوَتِهم
فَعظمي تكسَّر وروُحي مِنَ الفاقِدِين

جرحٌ لاذعٌ ينزفُ على طُرقاتِ السِّنين
وألمٌ قاتِلٌ تشرَّدَ كطفلٍ يتيم
أتسوَّلُ نسياناً بين أرواحِ الحاسِدين، وأضمُّ ظلاً دافئِا
وآلافُ العَبراتِ سكنَتْ هاتينِ الشَّفتين

كفّنيني يا أُمِّي
وَادْفُنيني قربَ سريرِكِ الدَّفين
ابنتُكِ ما زالَتْ هائِمةً بالماضي
تخافُ غداً وَتكرهُ المُستقبل، ولِوهلةٍ تظنَّهُ شَرٌّ لَعين
أحمِلُ بداخِلي خطيئةً دائِمة
خطيئةَ حُثالةٍ مَرَّتْ بِحياتي وَلطّخَتْها
وَأحملُ ذنوباً غارِسَة
ذنُوبَ حاضرٍ لوَّثَني بِسوادِ أصنافٍ مِنَ المَغضوبين
لأُكَفِّرَ عنْ هذا
بحثْتُ عن أقدارِ الطَّاهِرين
وعَرّابَتي أخبرتْني بأنَّ حُزني سيبقى وشماً على
جسَدي الهزيل

سأَبقى خلفَ قُضبانِهم أُناشِد حُرّيةً خرساء
أُجلدُ بسياطِهم حدَّ الاكتفاء
وَمِلحُ دمْعي يُحْرِقُني وَيُحرِق
وَينزِفُ على حَجرِ الفُسيفساء

ما زلتُ بلهاءَ عن الحُزنِ لا أكبُر يا سيدةَ النِّساء.

،

ما اعتدتُ أنا يا أُمِّي
كلّ ليلةٍ أَبْكي بِضجيجٍ صامِت
وَأحلَمُ بأحلامٍ لا وجوُديةٍ، وَأخبِّئُ آثامي تحتَ
وِسادَتي ولا أَنام
أدمَنتُ لعقَ أصابعِ الآنا
وَتعِبْتُ حدَّ الإرهاق، حدَّ الأَلمِ المجنونِ، حدَّ الهَذيان
حدَّ أَنَّني أُقبِّلُ جبيناً في الظَّلامِ ولا أَراهُ!

السَّمواتُ سَبع

والخَطايا ثمان
وَعُمْري وحدَهُ بِلا تِعداد
أمحقُّ ذاكَ الضَّوء الكاذِب
الّذي أتاني حتّى أفسدَني
وَرماني بكلِّ أسَفٍ أجوَف

لا شيءَ يمُرُّ مروُر الكِرام
كلٌّ يأتي بألفِ لُئمٍ، وَيرحَلُ بملايين الثَّغرات
أنا أيضاً
زفرةَ التَّرَح رسَمتُها على أفواهِهِم
وَاصفرَّ العاجُ وتكسَّر، وكلُّ ثمينٍ تَدهور
انقلبَ كوبُ الشَّاي وَكُسِرَت طاولةُ الصَّبرِ في قَلبي.

ʻ

أكلَني الحَنِينُ وَرَمانِي الانتظار
على مَقاعِدٍ مُهترئةٍ ملَّت
ما زلتُ أنتظِرُ كلَّ يَوم

في السَّاعةِ الخامِسةِ شَوْقاً
لَم أنسَ موعِدَنا
وَرائِحةُ خبزِنا معَ الشَّاي

ما زلتُ أُحْضِرُ جرِيدتَك، وَأُرتِّبُ أخباراً تهُمّك
ما زلتُ قابِعةً مُتعبَة

كَسا الشَّيبُ قَلبي مِن طوُلِ سِنين الانتظار
ملامِحي تاهَت بينَ البَشَر
أخافُ أن تأتي ولا تَعرِف حبيبةَ العُمر
أخافُ أن يمُوتَ شَوْقي ولا أعودُ شابةً كالقَمر

أخافُ أن أضيع
وَيضيعُ شالُ دِفئنا
أو تَنتَهي بِدايتُنا وَيموتُ عِشقُنا
أخافُ أن أكذبَ على نَفْسي أكثَر
فأَقوُل: بأَنَّكَ ستأتي

وَأبقَى أسيرةً لِلوَهْم.

،

كلَّما ارتَحَلنا، ضِعْنا خلفَ حقائِبِنا
تَحْمِلُنا وخبَّأْنا
قميصَ غصَّةٍ وشالَ دمعَةٍ، وَغادَرنا

بالأمسِ كُنّا نرى
الغَد غريباً ملَبّداً وكئِيبا
وعِندما استيقَظنا
تُهنا وضِعنا، والتَفَّ حولَنا ألفُ وترٍ حَزين
وَتلوّنا بسوادٍ مُغربلٍ مِن حطين
أدرَجنا زهورَ الغاردين
وجفَّفْناها كَجفافِ نهرِ سيرين، وَتبعثَرَتْ مُنكسِرة
كقَلبِها الثَّمين
وسَكنّا حَقائِبنا
وما بداخِلها كانَ لَنا الأُنسِ الوَحيد

لا رنينُ انتِظارٍ سَألَ عنّا
ولا بريدُ حنينٍ زار بُقعتَنا، نُفينا على صَدرِ السَّماء
وأَصبَحنا مُرتزقةَ الخَباء
عُدْنا كَما كنّا يا إلهي وَإلهِ الأرضِ والماء
عُدْنا أَبناءً بِلا آباء.

،

أغفُو كَزهرَةِ البَنفسَجِ على ثغرِك
فَأموتُ
أعودُ إلى جُذُوري
إلى قِطافِ مَواسِمِ الشِّتاء

تُبدِّد كآبةِ الظُّنُونِ، وتُراقِص قدَمي
أعرفُني عاشِقة حدَّ جمرةٍ غضى فتكَتْ قَلبي
أعرفُ نَفْسي
وأبتَسِم
كَبراءَةِ طِفلةٍ راودَتها حَلوى السَّماءِ بِنَهم

ازْرَعني وَاحصُدني
وَبلِّل تُربَتي
وَحدِّث مَن سَيمُرُّ عن ماضي هذهِ الأَرض
عن احتِراقِ سَنابِلِها
وَأدعو لَها
فَقُطنُ السَّماءِ مُبلَّلُ، وأَخافُ أن تغفَلَ وتسقُط
فتمُوتُ فُصول حِكايتِها.

،

وغدَت ليلةُ الحِنّاء
مُلوثةً بِثَأرِها، بإعدامِ كُحلِها، وسَكب ماء الذَّهب فوقَها
فَتركَت بدلتَها تلبِسُها كَكَفن
غادَرَت مسكَنَها وَأغلَقت جِفن عَيْنِها القاسي
وصاحَت:
يا نجمةَ الوَفاء، أينَ مِن عَل؟
وَأينَ خَيل فارسي ولا تقُولي رحَل؟

عِلةٌ بمَنجَنيقِ الغَدرِ طعَنتني، فالوَعد كانَ مِيثاقُنا
نَذرتُ بإشْعالِ فوانيسِ الدِّفء
بِنثرِ زهورِ اللوتَس على سَريرِنا، بتعَليقِ ستائرٍ كَسرَت
غُربَتنا

اششش.. فلتَصمُت كُفوف النِّساء
وليُخرسُوا موّالَهُم
فهو ليسَ لي / ولستُ أنا لَه
أَنا لِمَن قتَلتُموني مِن أجلِه
هَدَمتُم خَيمتَنا وبنَيتُم خيَمتكُم.

،

خبّأتهُ قلباً آخر في قَلبي
وأخبَرتُ التَّعَب
بأَنَّهُ رُوح لأَلَمي
بأَنَّهُ زهرةُ جدَّتي الذَّابِلة
ورَبيعُ اللِّقاءِ الوَحيد

وكُلُّ تذكرةِ سفرٍ اهترَأتْ في جيُوبِ السَّاكِنين
بأَنَّهُ سعادَتي الحَزينَة
ومِرآةُ ليلي البَعيد

كلّما اقتَربتُ مِنَ السُّقُوط
تلقَّفَتْني عَيناهُ حانيَتَين
وأحاطَ الكونُ بينَ يَديهِ رِسالةً
ممتلئةً بِكلِّ همسةٍ وإِغفاءَةٍ، وَكُحلٍ رآهُ منِّي
بِكلِّ خطوةٍ ولَمسَةٍ ودَمعَةٍ، أُحِسُّ بِها في غفلَتي
بِكلِّ حلمٍ زارَهُ بِجانِبي

وأَنا كالكِتابِ في حياتِه
كالسَّعادَةِ في غَليونِ سَمائِه
كوَحْدي فِي يومِهِ ونَومِهِ وصَحوتِه
وأَنا أريدُكَ الكونَ الّذي يَشتاقُ للغَيمِ وهو في أحضانِه.

ما يلبثُ الوجَعُ يهدأُ حتّى يعوُدَ مِن جَديد
وينبِشُ بِالّذي مضَى
فيعِيد معَهُ صَفيحَ العاجِ المُكسّر
وَقصبَ الخيزَرانِ الباكي
وكَم صورةٍ فوتوغرافِيّةٍ، ظَننتُها بالِيةً وَأَلقيتُ بها إلى
اللاعودَة
عادَتْ واختالَتْ أمامي مِن جَديد

كلُّ شيءٍ يأتي بلا استِئْذان ويتبخَّر بأَلفِ سُؤال
وتَموتُ ألسِنَتُنا بحثاً عن الجَواب
ولا نجد!

محرومون مِنَ النِّسيان
فنُكابِرُ بِجراحِنا ونَدفِنُها حيَّةً، ولا هُم هنا
فقَط لعنةُ بَقايا الرَّمادِ، تُصرُّ على خنقِنا لِلأَبد.

٩

ليلةٌ كَباقي لَيالي السَّوادِ أتَتْ
حَملَتْني قَدَمايَ حافيةَ الأَمانِ، رثةَ رِداءِ الحَنان
مُخلخَلةً بصَوتِ الاشْتياق
وَدُموعي كَلؤلؤةٍ تتَناثَرُ على قَسوةِ الطُّرُقات
ثمنُها اندثَر، وصَداها أهلكني وقَصر العُمر

تَحبو مَعي الرُّوحُ مُنكسِرة تُردِّد:
أَنا كَخرزةٍ زرقاء كنتُ معلّقةً على عُنقِ الحَياة
مُعشعشةٍ بأغصانٍ مُنكسرة، مُمتلِئَة بِصمتِ تراتِيل
مَيتة وصَدى بوحٍ فارِغ
نَفضتُ القَلب مِن أتربةِ الآلام
وشتّان بينَ زوبعةٍ خَنقَتني، وانسِيابِ ماءٍ أحَمر أغرَقَني
انتَشلَتني الهَمساتُ وحَشرَجةُ ظَمئي أتعَبَتني
صادَفْتُ الأحزانَ لَسئِمت
حتّى باتَت وفيّةً لي وَحْدي

نَحتِّي طِيني أيّتُها الحَياة وَها أَنا على طُرقاتِكِ أُلقي
بَقايا نحتِك
مَنفيّةً مِنَ السَّعادةِ، مَنفيّةً مِن حُلمٍ أبيض
مَنفيّةً مِنك.

،

مُغلغَلةٌ بِقيدٍ مِنَ الحَماقات
مُسَلسلةٌ بِكَومةِ أَوجاع
أجهَضَتني الدُّنيا على جَمرِ المُتعَبين
وأجندةُ أوراق السَّعادةِ العَتِيقة
تآكلَت يومَ ميلادي الحَزين
وسَجّلت تاريخَ يومٍ مقسوم بينَ أَلمٍ وأَنين
فَتعَربدَتِ الأيّامُ عليَّ
وتَرعرعَ كَهلُ الزَّمنِ على سُورِ عَيني
وأَنجَبَ ألفَ دَمعةٍ لا تَنتَهي وألفَ آهٍ لا تُسمَع
ولَم يُجهِض سوى مُناظرات فَرَح مُتعمِّد
أشتاقُها رغم عَدم لِقائِها

أَشتاقُ أن أتَحرَّر مِن كلِّ شِبرِ حُزنٍ استَعمرَ قَلبي
مِن كلِّ وَثيقةٍ غَصّة وُشِمَت على حَلقي
أَشتاقُ بِحَق

،

اغزلني كقطعَةِ صوفٍ
وارتَديني
دَعْني أسكُنُكَ، أتنفَّسُ عِطرَك
أنامُ على نبَضاتِك، أرتَوي بِدَمعِك
كُنْ وَطني حينَ أحتاجُ الأَمان
وَمنزلي حينَ أحتاجُ الرَّاحة
وَمِدْفأتي حينَ أحتاجُ الدِّفء
كُنْ أُمِّي حينَ أبوحُ بِأَسراري فَتحتضِنُني، وأَبي الّذي
يحَفظُ اسمي ويَرفعُني
كُنْ صَوتي وَذاكِرَتي
وَخَطيئَتي وَثوابي
أُغمُرني كَموجَةٍ تُغطِّي الرِّمال

خَبِّئْني كلَيلٍ هَربَ مِنَ الغِرْبال
أحِطْني بِقلبِك، بِروحِك
وَزُرْني بِالثانيةِ آلاف المرّات
فلا أشتَهي كلمةً هنا تلمَحُ بالانتِهاء.

،

كَفُقاعةٍ أنتَ
نَفَختُكَ بحُبِّي الزَّائِد، بِشَوقي المُبالغ، باهتِمامي الغَبي
وَحلّقْتَ أنتَ فِي سماءِ العِشقِ مُنتَشِياً
ونَسيتَني مُتَعمِّداً

نَسِيتَ أنفاسي الّتي رفَعَتْك
الّتي أسعَدَتْكَ الّتي انتَشَلتْك
نَسِيتَ أنَّني بِزفرةٍ قد أُنْهي تَمردَك
وَتَزولُ وَتَختفي
بِمحضِ غَلطةٍ بمرارَةِ زَلة،
بهمسَةٍ تَمحِيكَ مِن مُربَّعِ الوُجود

فلا تَكُن جاحِداً لِحُبٍّ احتَواك
ناكِراً لِقَلبٍ أَحياك.

،

وماتَتْ عَصافيرُ قَلبي
خَمْسَتُهم هاجَروا مَوطنَ صَدري، جنّةُ حُبِّي
عَلّقتُهم على حافّةِ أقفاصِ المَوَدّة
على عظم الكَرم
على حبلِ الحَنان
وَأطعمتَهُم حَلاوةَ الغُفرانِ مع سُقيا ماءِ الوَفاء

ولِلحنٍ عُثماني انتَشَيْنا معاً
وعلى دَفٍّ شرقيٍّ بَكَينا معاً
وَداخِل أَرواحِ أَشْواكِ الحُزن نَزَفْنا معاً
صَبرنا بِنومِنا على حَجرِ الصّوانِ معاً

غادَروني مَغصوبةً الدَّموع
مَكلولةَ الرُّوح
مَسروقَة الغَمّ

فَلَمْ نَمُتْ معاً، فَلَمْ نَمُتْ معاً.

،

انتَظَرتُ الضِّمار
وأنا أحرِّكُ مَرارتي بِقاعِ الفِنجان
لا مُكعّبات حُلْوَةٍ على طاوِلَتي
ولا أروَاحَ حَيّةً تطوفُ حَولي
جَميعُهم عَزازيل

نادَيتهُ
لِيُعربَ لي
أفعالاً باتتَ عَقيمَةً لَدى ذاكِرَتي
لِيُخبرني

أينَ أَنا؟ وبِأيِّ مَدينَة؟
أَعلى قِطعَةِ أرضٍ مَسلوُبة؟ أم على لا شيء؟

أفكِّر وأَنا على قافِيةِ الأيّام
وأُرَمِّمُ أحرُفي الّتي خانَتني
عِندَ أيِّ حَديثٍ لَم ينَضُج وَما زالَ عُذري

وَأيضاً
كَم هي رخِيصَة وَكم هو رَخيص
وعلى أيِّ سِيمفونيةٍ عُزِفَت رِوايتهما أو عِند
أيِّ زاويةٍ أُلقِيَت أقنِعَتهما!

تبًّا لِكَلِمة انتِظار
هي أكبرُ داءٍ يأكُلُنا بِضَجيجٍ صامِت لا يُشفى.

‘

لَم أكُن أنتظر
عندَ ناصيةِ القَلبِ شريانٌ يلوحُ لي بالوَداع
أو حمّالاً يَحمِلُ حقائِبَ وجَعي ليُخَفِّف المَتاع
لَم أكُن أزرَع
بِالهواءِ لأحصُدُ مَدينةَ أحزانٍ تَسكنُني
أو أرواح جوفاء بارِدَة تُجمّدنِي

لَم أُكن أبوح
احتراماً لِقدسيّةِ الكلامِ وَلِنفسي
ربّما ماتَ كلُّ شيءٍ وتَغرَّب
أتَى الرَّبيعُ والخَريفُ، واندمَجَ الوَرقُ الأصفَر مع الأخضَر
وغَدا كلُّ شيءٍ كاذِبٌ وقاسي

ألحَقْتُ بِنَفسي الضَّرر
وألفتُ معزوفةً تَشقَّقَت
وسقطَ مِنها الأَلَمُ مُكسّر

وأنامِل ذابِلة بالحُزنِ نائِمة

مرقّقَ الجَوف
بِظلامٍ ماحِقٍ بَعد خمسينَ نيِّفٍ مِنَ الوُجود
والأشرُّ اختَفَى وَتاه
في حَديثٍ مُشاغِبٍ بيني وبينَ الحَياة

احتَرتُ بينَ هُدنةٍ كاذِبة
وبينَ استسلامٍ جَبان وَهُروبٍ بِوصمةِ خُذلان

انتَهى وانتَهى

وأَبقى كما أَنا، مُسافِرة مِن مَدينةِ الجَزاء
رحّالةٌ بِدونِ تاريخِ انتِهاء
لِقُبلةِ حَياةٍ أهمَلَتني.

‘

كوبُ الزَّنجبيلِ السَّاخِن
الّذي لَم أذُقهُ يوماً ولا أحبَبتُه
أراهُ فِي عَينَيكَ دائِماً عندما تَحزَن
وكأنّكَ تستسِيغ مَذاقَهُ الملسِع
مُقارنةً بِألمٍ رافقَكَ ذاتَ نهارٍ خبَّأتَهُ عنِّي

لا يَكون بِيدي
سوى مِعطفٍ دافِئٍ أُلقِيهِ عليكَ مِن بعيد
بِداخلِ جَيبِهِ كفّي
الّذي يحنُّ على دَمعِك سِرًّا ويمسحُهُ بِهدُوء
لِيُخبركَ
بأنَّني كَروحِك الّتي لا تُفارِقُك
وبأنَّني كلَفحةِ ريحِ الشِّتاء
الّتي تُذكِّركَ بأنَّ لا دِفءَ فِي الكَون
يُضاهي دفءَ أصابِعي.

٩

مَضى القَليلُ وكأَنَّهُ كثير
كثير بِأعوامٍ لَم تأتِ، بِدهُورٍ لَم تَصِل
كثيرٌ بِحملِه
كثيرٌ بِما أَتَى جَهراً بينَ اثنَين
كثيرٌ بينَ سماءٍ مُنخفِضة
وأرضٍ مُرتفِعَة

أحمِلُ أسماءً
وَأحمِلُ كُفُوفاً مِن هَواء
أحمِلُ أشخاصاً ليسَ لي بَينهم مقعَد
وَأشخاصاً لي عندَهم وعداً
ولي مِن غُصنِ الفُلِّ
ما ينزِفُ على أوتارِ الزَّيزَفُون
ما سقطَ داخِل جيتار الوَداع
مِن قُطفِ عنَبٍ بَنفسجِيّة
ما رُميَ بينَ أصدافِ الحَنِين

مِن رملٍ مُخضَّب

لي مِن كلِّ زاوِية شيء
بحَجمِ الفُسيفَساءِ في قصرٍ عثماني
هَجرَتهُ أرواحُهُ غَصباً
وَتُرِكَ يئِنُّ بآهاتِ الّذي مَضى
حتّى لا يُنسى أَثرُه
ولا يُهمل وفاؤُه

إنَّها قُلوبٌ داخِل أَحجار
وَأحجارُهُم داخِل قُلوبِهِم
كانَتْ

لي القليل
وليس لي لماذا أو لَيت!

،

وَتهادى ضِعفين وَأكثَر
وَتدلّى عِنان السَّماءِ مُجبر
أخذَ يَعلو بينَ حَدقتينِ حَمراوينِ، ويمسحُ عنهما
ضبابَ المَدينَة
وَيبيعُ الذُرةَ المشوِيّة
يصرخُ هل مِن شارٍ؟ هل مِن كافِلٍ أَرعَن؟

يُلصقُ الأوراق تِباعاً
ويخطُّ عليها أحزانَهم
يُوثق جراحَها، وآلامهُ، ويد أمِّهِ الحَنون
يَيأَسُ لِوَهلة
ويَفيضُ أملاً بعدَها
يُشذِّب جَدائِل خرساء، ولا يَجِدُ شريطةً مُمزّقةً يلُفّها بِها
ليُهديها إلى حَبِيبَتِهِ العَمياء

يَضعُها في قَلبِهِ ويَخفُّ بِروحِه

إلى المَجهُول
وكلُّ ما أمامَهُ سَرابُ أبٍّ ظالِم
وأُسرةٍ يَتيمَة
وحبّةُ بندقٍ مِن ثَغرِها
فِي جَيبِهِ اختَبأت، لحظةَ جُوع

تركَتهُ في انكِسار
تركَتهُ في دوّامةٍ لَنْ يَفلحَ أحدٌ بِانتشالِهِ مِنها
تركَتْ نفسها في قلبِهِ، كَوشمِ بدويّةٍ جبّارةٍ لا تَنحَني
تركَتْ ظمأَ الصَّحراءِ في أنفاسِهِ وحلّقَت
أرادَت أن يتعلَّم مَعاني كثيرة
أضعفُها الحُبّ
فَبقِيَ كالحائِطِ يَرثي ظِلَّها.

،

هي ترسُمُ ظلاً
وتَنتشلُ ألفَ قُصاصةٍ مِن رواياتٍ مُخضرمَة

وتصنعُ مِنها جِداراً بِغرفتِها
تلوذُ إليهِ بعدَ كلِّ ألمٍ، فَرح، خيبَة، مُفاجأة، حُلُم
وتَنتَشي ما تَشاء
وَتغفو بينَ أحضانِهِ "هو" في الخَيال
وَتحدِّثُهُ ماذا جَرى؟ وَلماذا جَرى؟
وَما هي بِفاعِلة
وَهل هذا عَدل؟

تريدُ مِنهُ قصيدةً تُشعرُها بِالكَمال
بِدايتُها هي ونهايتُها هُم / وأبناء هُم
تريدهُ أن يكتبَها بقلبِ نِزار
وَبروحِ درويش وَبعشقِ علوان وَجُنون واسِيني
تريدهُ أن يَراها كما رأى عاصي فيروز
تريدهُ أن يلِدَ مُعجزةً
تُنسيها نَفسَها لا كبرياءَها
تَستحِقُّها ستُّ البَناتِ وإن لَم تُكن!

تنثرُ شَعرها أمامَ الشَّمس
ولا تُبالي
ترتكِزُ على طَرفِ جرّةٍ باردةٍ وتتَمنَّى أن لا تُبالي

تريدُ مِنهُ كلَّ ما تَحتاجُه
فتاةٌ غرِقت ببحورٍ بلا هويّة
زُرِعَت بينَ مساماتِها أمطارٌ حَزينة
فتاةٌ تنبضُ شِعراً حُرًّا لِنَفسِها
تكبُرُ كلّ شَهرينِ مرّة، وَترثي عُمرها ضحكةً باكِية
فتاةٌ تُناقِضُ نَفسَها أحياناً
فتاةٌ بمبادِئ عجُوز لا تَنحَني، رغمَ ما كُسِر
تُريدُ أن
ترتَديهِ ليلاً وَتحتَمي بِه
وَتركلُ العالمَ خَلفَها لِتُولَد مِن جَديد.

،

كلّما تلاشَت
أغبرةُ ذاتِها، عادَتْ كفَقيرةُ حُب
عادَتْ كجَنينٍ خديجٍ لم يَكتَمل
عادَتْ كيومٍ لَم يكُن

تَتجوّل
مُترفَة الحَنين حدَّ الهَذَيان
مُترفَة اللاّحياة
أخذَتْ إلى صَدرِها كلَّ الأَشياء
نزعَتْ عن صُدورِهِم ما ثُقل مِن طِينِ الأَسى،
وَدثَّرتْهُم بِأعينِها البُنّية
نفثَتْ فوقَ قلوبِهِم جميعاً تَعاوِيذ جدّتِها البارِدَة
وهي تعلَمُ بأنَّ غروُبَ الزَّهرِ عن جَبينِها
سيسقُطُ يوماً بينَ زخّاتِ المَطرِ، وَيذوُب حتّى
تختَفي ولا تُفقَد.

،

نامَت على أغصانِ الجوز
وتَدلَّت جَدائِلُها مُتعبة، وكفُّها استسلَمَ للسَّماء
تتنفَّسُ عبقاً خمري مِن أُمِّها
التصَقَ بخدِّها يوماً
حينَ قبلةٍ حنونَة
احتاجتْها بعدَ دمعٍ أغرَقَ قلبَها
بعدَ حلْمٍ هَدهدَها كذِباً

رحلَ يوماً وشهراً وسِنين
رحلَ كرَحِيلِ الفُلِّ عن بُرعمِ الياسَمين
رحلَ يُسابقُ آلآماً أتَتْ وآلآماً ستأتي
بعدما تَشابكَ كبَكرَةِ صوفٍ قاسِية
مِن جوفِ سلّةِ الخَيزران

تَيتّمَت غسق ديسمبر مِن كبدِها
على عُروق كفِّها الزِّرقاء

نمَت ألفُ خيبَةٍ، وَنزفَت إنسيًّا خلفَ إنسي
رسمَت لَها طريقَها وأسواراً علَت
مثل جَمرةٍ مُختبئَةٍ داخِلاً، تحرِقُها بِصَمت
وهي بينَ إكليلِ ثلج

وآهاتُها تُسمعُ كعزفِ الكَمان
وهي تُتلفُ وتراً وتراً

لَم تَحْتَجْ إلى قارِئةِ كَف
ولا إلى سيّدةٍ ذاتَ وشمٍ أخضرَ، لتبصّرا لَها
فهي قَرأت طريقَها
مِن عُيونِهما، مِن كلِماتِهما، مِن وعُودِهما
مِنهما
وكذَّبَتهُم جميعاً إلاَّ هو
ارتَمَت بِداخلِ قدرِهِ، وارتدَتهُ وهماً.

٩

خَلفَ مراكِنِ البُؤس
وَجدتُ أتربةً أجهَلُها
وجدتُ أفقاراً لَم يُنْشِدها شَخص
أسمعُ أصواتَ الجَلد
وَتكسُّر الأَبواب
وَحشرَجة النّوافِذ

فَأصرخُ عمقاً
ويَتوهُ صَوتي مع التّائِهين

أليسَ للمَنازِلِ حَنين؟
وللأَسرّةِ شَوْق
أليسَ هناكَ مَكانٌ شاغِرٌ لي بينها!
أم الأرض ما زالَت ضَيِّقَة!
وأعشابُها الحمراءَ ابتلَّت
بِدموعٍ مِن تعب وإِرهاق

حتّى تلِفُّ الأخضَر
وَسكنهُ الألَمُ فَأصبَح باهِت
مثل وجهِ جارَتِنا العجُوز الّتي تيتّمَت أبناءً عُصاه

بِجانِبِ كلِّ صخرَة
قَفزتُ زحفاً
وحسِبتُ
وترَكتُ
ونِدِمْتُ

حسبتُ الأثَر باقٍ عليها
فتركتُ رُقعاً مِن رِدائي لِتَحميها شتاءً
وَلِكي ينساني مَن يعرِفُني

وَنِدِمتُ
كأيِّ نَدَمٍ عابِرٍ بِحَياتي
يترُكُ متاعُهُ الثقيل في جوفِ قَلبي

ويُسافِر، ليعودُ بندمٍ أشَدّ وَأكبَر

ماذا صنعتُ مِن بَحْثي
ومِن تَوبَتي
سوى خطايا جَديدة
تشتَري بطاقاتَ عُمري
وتَتباهَى بِألمَي وعذابي!

أريدُ أن أُلقَى بينَ أشجارٍ مَهجورَة
عدا مِنَ البُوم
وأن أستَنشِقَ حَفيفَ الحلزونِ الهادِئ
بينَ أوراقٍ خزفيّة

وَأعبَثُ بالهدُوءِ ليكُونَ مِلكي لي وَحْدي
وَأَنسى
أَنسى الكثير، يا زهرَ الرُّمّان.

،

تَتلامسُ الكُفوف
هارِبةً مِنَ الغِيابِ وَتتلاحَم
وَتستَبيحُ كلّ ذَرةٍ
جاءَت بشَوقٍ، بحُبٍّ، بغَرامٍ مُحَرّم
وَتتَوضّأُ بِعُطورِها بِمِسكِها
وَبِدمعةٍ سالَتْ مِن حَرارةِ الاشتِياق
تَحْضُنها مَلهُوفَةً بالقُبُلات

رُبَّ أرواحٍ وفيّة
نادَتْ
وَخَذلت صُمّ أصَحابِها، فَباحَت.

،

يُؤلِمني قَلبي ويتفَتَّت
كَكسرَةِ خبزٍ ملقيّة على الطّريق
يَقتاتُ مِنها مَن بِهِ جُوعٌ مُمِيت

وَينازعُ حدَّ سابع سماء
وَيَحتضِرُ حدَّ سابع أَرض

ويَركُلُ ما كان
مِن وحلٍ طمَسَ المَلامِح
مِن عِتابٍ مُستَتر
مِن سقمٍ مُضجِر
وَينازِعُ روحاً مُرمَّمة
توغّلَت بِها حَرائِر مرمَّلة بِسَوادٍ حَزين
ميتَّمَة بِنقابِ أَلم.

،

أَتى رذاذُ عطرٍ
وسَرقَ النّومَ مِن مُقلَتي
استباحَ أحلامي وَسَكنَ أَوهامي
وَجالَ بِعنفٍ أمامي

زيتُ الياسَمين تَناثر
على خَشَبِ الصَّندَل
تداخَلَ مع عنُفوانِ القُرنفُل
وأطلَقَ شذى المِسْك
شَذى طُهْراً حارَ بِهِ قَلبي
وأصبَحَ هَواءُ دائِرتي
يتَحدّثُ عنهُ ومَعه

أنفاسي استقالَتْ منِّي
وغادرَتْ داخِلَ مجَرّةِ الآخِرة
داخِلَ وجَعِ نِقاش
تَخبّطَ داخِلَ كهفِ الصَّدى
الّذي ردَّد
لستُ أَنا، لستُ أَنا

لَم أعتَد ولَم أتَخيّل
سَربَ طيورٍ مُهاجرةٍ تَستوطِنُ رائِحةَ عُطرِ الوَطن

هَشاشةُ عظامٍ مُتدحرجةٍ مِن جَسدِ الغزلان
قَلقٌ وأرقٌ وفِكرٌ غافي خَلفَ وجهٍ مُنطفئ
كَقنادِيلِ السُّجون

كلُّ هذا وأنا قابِعةٌ في عَتمةِ الذَّات
مذهولةٌ مِن قطراتٍ أغرَقَت بِحارُ الظُّلُمات
ولستُ بِغَريقةٍ أو عائِمَة
فقَط أَنا وصِراعُ السَّيِّئات.

،

لَم أقوَ على كَلماتِ البَرد
الّتي ألقيتَها على جَسدي وغادَرْت
لَم تَعلَم بِأَنَّكَ حَمَلتَ معَك
ذاكِرَتي وسعادَتي، وَحمَّلتَني أَنا أوزارَ وجَعِك

ملأَتَ المِحرابَ بصَدى الخَوْف
مَعكَ، قبلَ بُعدِك

وَنُقوشُ كأسِ الفضّةِ لبِثَت كَنُدوبٍ باكِية
على قَلبي مِن ظُلمِك

احتَرْتُ فتُهْت
ركعَتُ فغَفَوْت
بكيتُ فَمُت

رغمَ أَنَّهُم
علَّمُوني أن لا أَعود
أن أغزلَ الحُدودَ بحَبّاتِ البُنِّ القاسِيَة
أن أذرِفَ الضُعفَ مع بُذورِ الرُّمّان الجاحِدة
أن أُصاحِبَ حُزني وَحْدي وأرتَديهِ أَقراطاً بالِية

فقَط أن لا أَعود
وما بالي إذَن لَم أُغادرك
حتّى أَعود!

بعدما رأيتُكَ تَتلاشى
على صفَحاتِ الماء
وغدَوتُ كغَياهِبِ السَّراب
كمَنزِلٍ بدونِ باب

أنتَ / أتقَنتَ عزفَ الألَم بِشدِّهِ عليَّ
وأنا / أتقَنتُ تراتيلَ الوَفاءِ فَوق أغصانِ عَينَيك
فِي النِّهايَةِ لَم أجنِ كما جَنيت.

،

أيقنَتْ بِأنَّها وطَأت أَوْحالاً
ليسَت لِقذارَةِ قَدمِها
وتبنَّت مفاتيحَ لأَبْوابِ هلاكِها
كانَتْ فِي غنَى عنها

اسمها لَها
وعِصيانُها عليها

والبَشرُ خلفَها
والله، الله معَها و فوقَها ووليّ أمرِها.

،

كنتُ مؤمِنةً بأنَّ اختِناقي لي وَحْدي
فَلمّا جَعَلتُكَ تُلوِّثُ أنفاسي!
تُمحي مَلامِحي
بِتلكَ الدُّموع
حينَ انهارَتْ على وَجهي ونَحَتَتْهُ
حتّى باتَ بلا معالِم

سَمَحتُ لكَ
رغمَ أنَّني أكفُرُ بِجميعِ الأَوْهام
وَمُحاطَة بِكومَةِ أَصنام
لا تَكِلُّ ولا تترُك
وَأعلَم بأنَّ سَعادَتي تَنام
بعيدةً عنِّي كَخيوط الشَّمسِ على عُنقِ الظَّلام

كَذِبْتُ حينَ آمنتُ بِنَفسي
وجَبُنْت.

،

غِبطةٌ تُجادِلُ حُروفَ مَوتي
أَيَّهُما جامِح؟
حُزنكَ أم حُزني
وَأيُّ عَبثٍ يراقِصُ ثَغري
وَعلى أيِّ ظِلالٍ يلتحِفُ جسدي!

كالسَّماء باتَت رمادِيّة
وَضاعَت بَيضاءَ صافِية
كجِنّيةٍ غابَت وَعادَت بِمُقلتَين
يتغَلغلُ بِداخِلهِما الوَجَع

انثروا الرِّمال
وحُفّوا الزُّهور
وأطلِقوا صُراخَ السُّنونو
فكَوْمَةُ الصُّخورِ انْهارَت
وَما عادَت مُتّكأً لنا

أَعود إلى إِلهي
إلى قارِعةِ الغَسق
إلى تاريخِ أَجدادي
إلى قَبائِل بابِل.

،

اكتَسَت خمسينَ رِداءً
مِنَ الانْتِظار
وَافترَشَت ضَباب المَدينَةِ وغَفَت
أخذَت تَحسِبُ الأيّام
والشُّهُورَ والثّواني والسِّنين

وَتُخفي جَفافَ أَصابِعِها داخِل جَيبِ قَميصِهِ المَنْسي
كأَنَّها داخِلَ هالَة

مرَّت على مرتَزقةِ الحَنين
ورَوَت ظَمأَها بِرَشفَةِ عَلقَمٍ شَحِيح

ها هي تَستَنشِقُ بَقايا عِطرك
وتَلفُّ حَولَ عِنقِها مَشنَقتكَ بِبطء
تنفُثُ رمادَ السَّجائرِ، ظنًّا مِنها أَنَّها فَراشات

أيُّ قسوَةٍ أَتَتكَ لِتأسرها هكذا!
وأيُّ غباءٍ أَتاها لِترفَع رايةَ استِسلامها هكذا!

،

رَسمتُ روحي
وَهمَمْتُ أبحَثُ عن صُراخِ الأَماني
الّتي عَلقَت على كفِّ مَعبدٍ مُنهار

مُبلَّلة جُدرانهُ بدُموعِ حُوريّةٍ نَبذَت

أَدنوُ، والخَوُفُ يرتَجِفُ
وصوتُ الطُّبولِ تُوقِظُني كلّما غفا رِمشيَ المَبْلول
وشَعري المَسْبول كلّما نَثَرتهُ الرِّيحُ، يَحضنُ عُنقي
ويَهمِسُ بصوتٍ يَرتجِفُ
سِرًّا، فكلُّ الخَطايا الآنَ فوقي!

مَتى سأراك؟
مَتى سَتَهطلُ عليَّ كالليلِ الحالِك
وتكسرُ قيدَ أُنملِهِ رُبطَ على ساقي وَأوجَعني
مَتى سَنعود متوحِّدين؟
لِنَسلُكَ دَرباً بِلا شَوك.

،

كُنتُ أتجنَّبُ الرَّحيلَ بكاملِ قِواي
وَأُصارعُ حقائِبَ الألَمِ وأفرِغها، حتّى يبتَعدَ عنِّي شوكُها

وأغصُّ ببذورِ الخَيبَةِ وأصمُت
ومع ذلكَ، رَحلتُ أَنا
وجَرَرتُ معي أغصانَ الخُذلان
الّتي غُرِسَت بِصَدري وَما زالَت تَخنُقُني

لا ملامحَ رجوعٍ أَرى
ولا لذّةَ سعادَةٍ مُنسجِمةٍ في هذا المَدى
بَقِيَ بِداخِلي ضَجيجٌ لأكاذيبَ هدَّتْني رويداً، رويداً

وَما عُدتُ حيّةً ولا ميِّتة
أنا لا أعرفُني.

،

خبّأْتُ بينَ ثَنايا ثَوبي
حُبيباتٌ رمادِيّةٌ سقطَتْ مِن رأسِكَ، عندما انحَنيتَ
لتجلِبَ رُوحي
رُوحي الّتي كُنتُ أبحَثُ عنها في ظِلِّكَ

وَعندَ عَودَتي
قطّبَت أُمِّي ما كانَ مُمزَّق
ولَم تعلَمْ بأَنَّني خبّأتُ جِزءاً مِنكَ كي لا تَرحَل

أَتُرى شعَرتَ بِما في داخِلي
وحبَسَتْكَ بدلاً عنِّي!

لأَنَّها أُمِّي
لَن تَرضى بِعذابي.

،

أَنا الّتي رحَّبتُ بطَيفِك
ودَّعتُ المَرارَ معَكَ الآنَ، ودَّعتُ الانتِظارَ وَكلّ خيرٍ ظَنَنتُه
وَنقَشتُ اللاشيءَ بِنَفسِ ريشِ الحَمام
الّذي كانَ يأتِيكَ بِرسائِلَ لَهفَتي خِلسَة

وَلكِن ما عادَ هناكَ لهفَة
هناكَ احتِضارٌ وزَوبَعةٌ ثائِرةٌ بِهدُوء.

،

أعبرُ الطُّرقاتِ ليلاً لعلِّي أجِدُ ضالّتي
لعلِّي أجدُ دَمعَتي الّتي سَقطَت منِّي يوماً وأُعيدُها إلى دارِها
لعلِّي أجدُ نَفسِي الّتي تَبرّأتُ مِنها زمناً وأُعيدُها إلى جَسدِها
لعلِّي أجدُ هُدوءَ الحَرفِ السَّاكِنِ الّذي ضاعَ منِّي في زحمَةِ السَّعادةِ الكاذِبة
لعلِّي أجدُ هَوائِي العِشرينيّ فقَط بِلا زِيادَة وَبِنُقصان
لعلِّي أجدُنِي ولا أجدُ جَسداً آخرَ يُؤذِيني

لا أُريدُ بشراً
أريدُني أَنا بِكامِلي فقَط
ليلَةً واحِدةً أجمَعُني، وأمضِي.

،

كلّما فَتحتُ باباً، قَبضتُهُ تَفْلتُ مِن يَدي
وَأَرى أَنَّهُ خَطأ
لا يوُجدُ بِداخِلهِ سوى الخَراب

كلّما عاصَرتُ إنسيًّا
أذوقُ لَسعةَ مِرارٍ مِنهُ، حتّى ولو كانَت بِحَجمِ نملَة

أَعْلِمُني لا أؤذي ولا أكذِبُ ولا أخدَع
أَعْلِمنُي لا أظلِمُ ولا أنافِقُ ولا أجرَح
أَعْلِمنُي يا الله

أيُعقلُ أن أكونَ واهِمةً بِنَفسي
كما كنتُ واهِمَةً بِهِم!
أيُعقلُ أن لا أشعُرَ بي أيضاً!

كلّما أمطرَتِ السَّماء
أتذَوَّقُ ماؤَها بِحَرارةٍ وأنصِتُ إلى عَزفِها
على الأرضِ، على زُجاجِ النّافِذة
على السيّاراتِ أو سَقفِ المنازِل
وكأنَّها تُخبرني سرًّا عن البَشَر
وتأخُذُني بِرحلَةٍ معها داخِلَ الرِّيح، داخِلَها

فأشعرُ بأنَّها تَمسَحُ مِن على كَتِفي
كلُّ سيِّئ أَثقلَني بالتَّعَب
وَتَهمسُ بحنِيَّةٍ بارِدَةٍ في أُذُني
صوتاً قائِلاً: بأنَّ الله قرِيبٌ ليسَ ببعيدٍ وَأنْ أبتسِمَ
مع أَلَمي دائِماً
وَأدَعُ حُزني يَسقطُ مع دَمعي راحِلاً
أن أوُدِعَ كلَّ مأساتي، وتَعَبي، إلى الأَعلى
ولا أهتَمُّ، ولا أهتَمّ

المطرُ حميمٌ جداً يا أُمِّي
يجعلُ روحي المُنهدّة تَتخدَّرُ قليلاً

،

أكرَهُ المِرآة
ولا أحبِّذُ الوُقوفَ أمامَها أبداً
أكرَهُ أن أراهُم بِنَفسي
أن أَرى كم زرعُوا على وجنَتيّ ألماً
وَأن أَرى عَيناي ذابِلةً حُزناً
أو أَرى ذَنبي أيضاً
وَأَحْسِبُ عَددَ السِّنين الكثِيرة الّتي ضاعَت بِلا فائِدة
أتجنَّبُها كما أتجنَّبُ شمسَ الصَّباح
أتجنَّبُ تَصديقَ خَساراتي الكثيرة عَلناً
أتجنَّبُ حاضِري الملوَّثُ الّذي أَرهقَني حدَّ الهَلاك
أتجنَّبُ كلَّ شيءٍ باتَ يُتعِسُني

وكأَنَّني عصفور في قفصٍ بلا باب

يرفُض حرّيتهُ خائفاً، وباتَ سَجيناً بيدِه.

،

بعدما غادَرَ ذاكَ النَّبضُ
مِن فَوقِ عتبَةِ الوَداع
انطَفأت نُجومُ السَّماءِ وما عُدْتُ أبصِر نوراً
سوى مِن بينِ عَينَيك
كلّما حَللت زمناً

عَرفتُ الحُبّ
مِن كَلمةِ جرِيدَتِك
عَرفتُ الرَّبيعَ مِن بُخارِ خبزِك
عَرفتُ القسَوةَ مِن فُخارِ أجدادِك

سكَنّا مَقاعِدَ الفُصولِ معاً
وأطعَمْنا حَمامَ السَّماءِ بكفٍّ واحِدة
تَركنا ألفَ قصّةٍ، وسكَبنا عِطْرنا أنفاساً سرمَدِيّة

كنتُ وَحْدي أُسطِّر أحداثَنا
فتَهرَعُ خائِفةً بينَ أصابِعِ آلةِ الكتابَةِ السَّوداء
لِتَغفُو على أوراقِ الأَناناس
وتُذكِّرني دائِماً
وقتَما أُقلِّب ساعتَنا بثواني وتختفي

أريدُ ما كانَ أن يعُود
أريدُ أن أسمعَ اسمي أغنيةً بينَ شَفتَيك
أن أراني أنت
أريدُ أن أُحلِّقَ أرضاً
وأن لا أخافَ مِن منادِيلي البَيضاء
وأن أراكَ مِعطفَ أُمِّي في كلِّ المَواسِم.

،

بعدَ بُكائَيْنِ ونِصف، استسلَمَتْ للألَم
وَنامَت بينَ يَديهِ ناهِدةً مع أوّلِ إغماضةِ جفن
وَتركَت الدَّمعَ يتلحّفها عُنوةً

وَالحلمُ يُهدهدُها رأفةً، لعلّهُ يأتيها بطفلةِ فَرحٍ كامِلة
ويرتكبُ حماقاتٍ جمِيلة
تَئِدُ الشَّوق الّذي تمَرّدَ عليها كأصحابِه.

،

ألقَيتُ أنُوثَتي
وَهَجرتُ واقِعي وَحاضِري
وَارتدَيتُ الماضي أكذُوبة

أخافُ مِن نَفسي عليَّ
لم أكُن هكذا، ولم يَكُن بَوحي شَجيّ
بِتُّ لا أعلَم
مَن أنا ومَن أكُون ومَن سَأكُون، قِطعَة مُرمّمة بِالسُّكون
أم جَسدٌ مِن همزاتِ الظَّلامِ مَسمُوم!

أحتاجُ لِحُضنِكِ يا أُمِّي
كي أموتَ بداخلِهِ

كي أسقي ثوبَكِ بدَمعاتٍ
مُتدحرِجَة كَجَمرات

لا تقُولي شيئاً ولا حَرفاً
خُذِيني وقَبّلِيني واتركِيني مِن سُكات
لعلَّ ضَيمَ حرارَتي مِن حنانِكِ يتَفتَّت
وَأُشْفَى مِن هذا السُّبات.

،

لأوّلِ مرّةٍ شَعرتُ بأنَّكَ لا تعرفُ لغتَنا
بأنَّكَ نَغِل جَهول
كتَبتُ لكَ وبِك
وما أن وقَعَ بصرُكَ على حَرفي قلبتَهُ
كَشيءٍ بلا مَعنى
تَمنَّيتُ لو تعرِفُني جيّداً مِنها
ربّما تفهمُني
وَتُصدِّقُ بَذْخي في حُبِّكَ كَم هو كبير

وَتعلَمُ بأنَّني أكذِبُ إن جاهَرتُ العكس
وتعلمُ أيضاً كَم أنتَ مُوجِع.

،

أريدُ لجاماً أقوى مِنَ الصَّبر
ليلتحِفَ كلّ ذرّةِ ضيقٍ تأتِيني
ويمنَعُني مِنَ الشَّكوى صمتاً أو البُكاء باختناق سِرًّا
على عَتباتِ النّدَمِ المتكسِّرة

أرفَعُ يدَيّ لكَ يا الله
مُوقنةً بأنَّها لن تُبترَ كما بُترِت مِنَ الحَياةِ كثيراً
الْجِمْني ودَعْني أَرى كلَّ وصبٍ محضُ سرابِ
أشكُّ بوجودِهِ قبل خُطواتي.

،

إذا ما سألتُ عن السَّعادَةِ فهي لا تسألُ عنّي
ولا تأتي لي بحَلوى تَلهِيني بها عن صَخبِ الدُّنيا

كالأَطفال
أو تأتي وترأَف بِما أشعرُ بِهِ

بين وِسادتي ونَفسي
أشعرُ بِوحلِ الأَمطارِ في حَلقي ثَقيل
وأشعرُ بِشوكِ الأَشجارِ في قَدمي مُؤلِم
أشعرُ كأَنَّني بدوّامةٍ مِن شِتاء
بارِدةٌ، مُعتِمة، بِلا إِحساس
تبلعُني ليلاً رغمَ طَعمي المُرّ
وَتمَضغُ أحلامي على مَهل
حتّى تتَعرّى مِنَ الواقِعِ ولا تتحَقَّق
أبحَثُ عن حِذائي الصُّوفيّ
وأُنادي معطفي الرّمادي وأُرخي شعري الأسود
بِهدوءٍ ليُعانقَ أُذني ويَحميها
مِن أصواتِ التّكَسّر، مِن صُراخِ القُنوطِ، مِن دقّات الفُراق
مِن نَعِيقِ الجَزعِ القَريبِ

وأدنُو وصَريرُ الصَّدى يكبُر
يُردِّد بكلِّ حرفٍ آثمٍ نطَقْتُه
بِكلِّ حرفٍ برِيءٍ أسكتُه
لِماذا كُل هذا ذُقتُه
لِماذا لَم ينسَ الصَّدى كما نَسوا هُم!
لِماذا أموتُ صَحواً وَكأنَّني أنا المُذْنِبة
وَكَأنّ خَطيئةَ الكَونِ سَقطَت في جيبي وَالجَيبُ لم يتمَزّق
وفاءً مِن أُنثى خُذِلَت وما ماتَت
مِن أُنثَى رُمِيَتْ بسُكونِ الوَجعِ وما صاحَت
مِن مُقلةٍ بُنيّة غُشيت ماءً وذابَت

ما زلتُ أبحَثُ وأبحَث
عن كلِّ شيءٍ يخصُّني
وَأوّلُهم عن ذاتي الّتي سقَطَتْ منِّي مِراراً

،

غادَرتُكَ
ولَم تُغادِرني أنتَ يوماً
رَغم أنَّكَ غَرّبْتَني، بَقيتُ أنا لكَ وطناً

،

تقوُقعتُ وانغَرت تلك الأَنا
داخِل إناءٍ يَبكي ليلَ نهار، بدموعٍ إنسِيَّة قطَّبَت
الشَّمس والقَمر معاً
وَرتَّلَت مقاماتٍ بالِية
تُناسِب سويعاتِ الانْتِظار العَقيم
وَلذّةِ الانصِهار كَخديجٍ بلا روُح
يتخبَّط بينَ جذوعٍ متشقِّقَةٍ بِداخِلِها أعمارٌ وأَسرار
يرجوُ الحَياةَ مِن بينِ خزائِنِ الانغِلاق

أهناكَ دار تلتفِتُ وتقبِض
فتحضُنُ ذاكَ، حدَّ أن تتبنّاه!

‘

وَانبنَى عُشُّ القلَقِ أمامَ نافِذتي
وَطَيرُ اللقلقِ في كلِّ مَرّة يأتي ليُخفِّفَ مِن مصابي
وَتجتاحُني أتربةُ الذَّاكِرةِ معَه
حتّى إنَّني تمنَّيتُ لو تُصابَ بالفُقدِ الأَبديّ
ليغدو كلُّ شيءٍ يرقُص
تحتَ أقدامي بِبذخ
لا أنا أهتَمُّ ولا هُم يزرعونَ الهَمّ.

‘

أحتاجُ قُطباً كثيرة
وَنافذةَ صباحٍ ضَريرة
أحتاجُ لكوبٍ فارغ، فأنا لا إدمان لي للقَهوة وغيرِها
أُلقي بأنفاسِي المتهالِكة بداخلِهِ
وَأَرى وَجهي الحَزين
مِن بينَ نتوءَات صندوقِ أُمِّي النّحاسي
أحتاجُ للكثير والكثير

ولَم أصِلْ للقَليل بعد.

،

تِلكَ الفَتاةُ البَيضاء
الّتي كانَت تقِفُ على حافّةِ ورَقِ الزّيزفون
تبكِي وتُرسِلُ دعواتٍ خفِيّة إلى السَّماء
مُبَطَّنةٍ بِشيءٍ كخطِيئةٍ لَم تُدنّس
ماتَت

وتَركَت خُصلةً مُجدَّلةً مِن شَعرِها الأسود
داخِلَ ظرفٍ مهترىءٍ قديمٍ مِثلِها

أحبَّتْ الماضي ورائِحَتهُ الطّاهِرة
أحبَّتْ ما ليسَ لها في الحَياة
أحبَّتْ مَن لا يُحبّها
أحبَّتْ بإسرافٍ وَاعتدلَتْ بعدَ أعوام

تُشبِهُ شَرنقةً مُتدلِّية
تنتَظرُ أن تكبُرَ وتطِيرَ إلى السَّماءِ وأبعَد
وربّما إلى أحلامِها وأقرَب
تنتَظرُ أنْ تُصبِحَ أجمَل

فمالَ الغُصنُ في ليلةِ شِتاء أنجَبَها وأَماتَها.

،

لِما يا رَفيقي خُنْتَ العَهدَ
ولِما جلبتَ لي قوسَ القزح في ربيعِ دفئِك
ثُمّ أمطرتَني بِبردِ شتائِكَ وَتركتَ غيمَكَ يَقتلني
لا أَرى مِنهُ شمساً ولا ظِلاً يُناشِدنُي
لِما لم تبقِ النَّقاء والحُبّ دائماً بينَنا يضحَك؟

تمنَّيتُ أن تُكذِّبني
بعدمِ وجودِ الطُّهرِ بينَ البَشَر
أن تفتَحَ لي نافذةَ الأملِ بِيدَيك

وَتقتُل دمعي قبلَ أن يُذْرفَ على خَدّيك

تمنَّيتُك نَفسي بل أكثَر
وَأحلامي الطّويلة غصَّت الآنَ، وَأعادَتني إلى موطني
إلى الواقعِ، إلى وحشَةِ الوصَب.

،

مُجرّدُ روحٍ أخرى نطقَت مِن راحةِ كفِّك
كانَت كثالثٍ بينَنا، حينها تذكَّرتُ عهدَنا القديمِ على
شجرِ البلوط
عندما أُصبتِ بالحُمّى وأبيتِ أن تبقي بالمنزِل
رجوْتِني أن آخذَكِ إلى هناكَ
وكأنَّ تلكَ الغابةِ هي الدّواء

وصَلنا وجَلسنا
وبُحْنا بأحرفٍ كانت سِرّية
أخذنا الحنانَ بتعجُّبٍ، وقتَها حَفرنا على جذعٍ ميِّتٍ

تاريخَ يومِنا هذا
وعبارتانِ لي ولكِ:
أنا الخوفُ يُلازمُني وأنتِ سعيدةٌ بِحُزن
ولَم نشرح شيئاً أو نُدقِّق
وَمرّت الأيّامُ كالمُعتادِ بشهورٍ وَسنين

الآن علمتُ أنّ ماضينا
كان إشارةً لِمُستقبلنا
وَأنّ إِصرارَك كانَ لنعيشَ لحَظةً لَن تُنسى ولَن تتكرَّر
أَنا ما زلتُ خائفةً مِن كلِّ شيءٍ رغمَ أَنَّني خسرتُ الكثير
حتّى أنتِ!
ولا أعلَم ماذا بقِي!

وأنتِ سعيدةً نعَم لكن حَزينة، لأَنَّنا لم نعُدْ كما كُنّا
لا نحنُ ولا الزّمَن ولا قلبُنا

ربّما الرُّوح الثّالثة تلكَ

هي روحُ شجرةِ البلّوطِ يا أُختي.

،

سأعتادُ البُعدَ
كما اعتدتُ على الحُزن
وَسأكون أقوى بعد تَساقطِ الضُّعفِ متتالياً، أمامَ قَدمي
وَلكنِّي لن أُشفى
وَلن أنسى، مقعداً اتّكأتُ عليهِ شهوراً
وَتهشّم سريعاً مُبتعداً دون أدنى اهتمام

لن أنسى
روحي الّتي كانت تنامُ كل ليلةٍ
بِداخلِ مهدٍ صريرهُ أضحكَني مرّة، وأبكاني مرّات

شيئاً نَسيتُ أن أخبركَ بِهِ عندَ أوّلِ لقاءٍ لنا بأن:
تكونَ كحُزني الّذي لا يغدُر ولا يرحل، ربّما كنتَ
ستصغي لِهامشٍ غَفِلْتُه أَنا مِن أُمنياتي البسيطة مَعك.

‘

لا طاقةَ لي بأن تَنْساني
لا طاقةَ لي بأن أَرى الضُّحى بعينِ شخصٍ آخر
بأن أضحَكَ وَروحي مُنكسِرة
أن أنهَضَ وَكأن سريري كفن
أمُوتُ بِهِ كلَّ ليلَة
وَأقفُ صامِتةً، وَدُموعي تنتفضُ قهراً
لم يندمِل ولن يندمِلَ يوماً

لأنّ نبتَة الصبّار كلّ يومٍ تنتشِلُها يَدي عارِية
مِن إناءِ الشِّتاء
وَتمثال البُوم
ينعقُ نهاراً، خلفَ قَلبي
الّذي أصبحَ وفيًّا
للذِّكرياتِ، للخَيباتِ، للانكساراتِ، لنهايةِ الأَشياء

ما عادَ هناكَ حُلمٌ يُستطاب
فالدُّنيا ماتَت في عَيني الآن

،

أكادُ أجزمُ بشيءٍ كذّبتُهُ لحظَةَ قَهر
وأدعو حُبيبات العشقِ الخانِقةِ بأن تَنامَ داخِل خاتمي
المسجُون
وأن يَحضُنَني الهَواءُ القادم مِن شَمال رُسغِك
ويحبُو فوق وجنتي مُتعباً، بغيرِ وعْي
يَبكي فوقَ عينَيّ
حتّى يذوُبَ مِلحُنا معاً، ونعَبثُ بالحُزنِ وهلَة

رغمَ كلِّ عثَراتِ الغَسقِ
وَأوهامِ مِسكِ الغَزالِ الميّتِ فوقَ أكنافِنا
بأن ينتَشِلَنا عِطراً
ساعةَ اشمئزاز
دقيقةُ خُبْث

ولكِن ما انتَشلنا يوماً
سوى مِن بِئر الثَّواب إلى أرضِ الخَطِيئة.

،

ما زلتِ لي أقوى سنَد
أقوى مِن ألفِ رجُل
ما زلتِ تتركينَ لي في كلِّ مَرّة لمسةَ أَمان
وبسمةَ حنانٍ وصوتَ دِفءٍ
وأَنَّني لن أَرى في الدُّنيا خيراً مِن بَعدِك
ولا مِن قَبلِك
ولن أجِد حبًّا أبيَض
لا يُطالِبُني بشيءٍ كحُبِّك
ولو كرهَني العالمُ لن تكرَهيني أنتِ وَحْدك

الخُذلان
وَالانْكِسار
وَالألَم

ليسوا بحياتِكِ يا أُمِّي
ليسَ بنقائِكِ أحَد

ويا ليتهُم
كانوا أنْقِياء معي مِثلك.

،

حلَّقتُ بينَ دفَّتَي هَواء
مَرجَحتُ الماضي والحاضِر
بينَ حَفيفِ رُوحِ جدّتي

تَسلّقتُ الألمَ مَرّة
وَنزلتُ السَّعادةَ مرّات
كُنتُ أُصافُحُ الهواءَ مِن وجنَتي
وأعتصرُ شَوقاً كلّما ارتَفعتُ أكثَر
تخيّلتُ السَّماءَ بينَ يدَيّ كَغزلةٍ زَرقاء ألتهمُها
وأنَّني الأرضُ والشَّجر

أنَّني الحَياة
تخيّلتُ مَن أُحِبُّ بينَ كلِّ غيمةٍ وغيمة
نتهامَسُ فرحاً وندورُ بَياضاً

رغمَ أنّ مَن أُحِبّ لَم يَرحلوا إلى السَّماءِ يوماً
أوّلهُم جدّتي تلك.

،

غادرُوا بِكلِّ برُود
سقَطوا بِكلِّ سهُولة
كورقِةِ خريفٍ ماتَتْ سَهواً أمامَ طريقِ المدِينة
ابتسموا ألماً
وأعينُهم أخبرَتْني، مئةُ قِصّة وقِصّة

لِكلِّ شيءٍ بينَ أردِيَتِهم قُطبة
تفاجأتُ مِن سَخاء الفرحِ الّذي يرقُصُ فوقَ جَسدِهِم
وكيفَ أفقروُهُ هَرباً

ونعَتوهُ ظُلماً

لِما النّوافِذُ تسكُننا أكثرَ مِنْهُم
وَلِما يَجبُ أن نكبُرَ وَنموُتَ وَنتأَلّمَ وَنتذَكّر ونَحِنُّ خَلفها؟

انتهَتْ كلُّ الأماكِن
انتهَتِ الأحَضانُ الدّافِئة
انتهَتْ أسِرَّةُ الأُمّهات
وصُوفُ الجَدّات
وعُكّازُ أجدادِنا
انتهَتْ كلُّ أسوارِ الأَمانِ الّتي كانَت تحُيطنا
وتلفُّ نُجومَها حولَنا بهدُوء
فنَرى قَمراً بينَنا

رأيتُهُم يا يافا
مِراراً يسقطُون حلماً، حتّى نَسجُوهُ واقعاً.

‘

أكلَ الحُزنُ بِما يكفي مِن ورودِ العُمر
حتّى تلاشى البُستانُ وكأَنَّهُ لَم يكُن، والشَّمسُ أدبَرت
ولم تَعُدْ
أتُراها وجدَت أرضاً أُخرى
قريةً غيرَ قَريتي، أم ثغراً أوسَعَ مِن عيني!

تتلفُ بينَ حدبَينِ مُستَقيمَتين
وتُودِّعُ حتّى حفيفَ الرِّيحِ الخَفيفِ، لا تتركُ شيئاً سُدى
ولا تَجِدُ سندَ غُصنٍ
أو حتّى شجرةٍ كاذِبةٍ، تقولُ لها هلُمِّي
فأخذَتْ تُلملمُ بَقايا الرَّحيل
مُرتَعِشة خَوفاً، مَيتة عُمراً، مَقهُورة حُبًّا
ارتسمَتْ آلافُ الملامِح على صَدرِها
ملامحُ أُناسٍ غَرِقوا صوتاً

يغنِّي:
أهناكَ حقيبةٌ تُلصقنا معاً
فنحنُ تعاهَدنا الوَفاءَ فِي الحَياتينِ

لا عِناقَ كما لا لِقاء
مُجرّد قلبٍ، لُجِمَ كفراً وَروحهُ مؤمِنة لِلسَّماء
هربَت بين قطراتِ المَطرِ، لتُلبِسها دِفئاً
وَتتكسَّر فوق جسدِها كبخّورٍ يُعطرّها طُهراً
وتُرتِّلُ
قبلَ الوَداعِ الأخير
ظمَأً تَساقطَ مِن شفتَيها.

ʻ

ما مَعنى أن تَحترِقَ سبعةُ أوجاع يَتيمَة
تُدفنُ داخِل قلبٍ ما زال يَحيا ولَم يمُت
داخِلَ حُلمَيْن أو ثلاث لَم يَعْلو يوماً عن حُدودِ المُبالغة

تُتفِلُ الغصّات تِباعاً داخِلها
وترتشِفُ دَمعاً اختبَأَ مُسرعاً بينَ شفتَيْنِ عاشَتْ ضَحكاً
لِكلِّ مَن أَتى، وحتّى لِمرآتِها الخجولة

تنامُ ذاكرةً
وَتستيقظُ ذاكرةً
وَتحتضنُ النِّسيان لِتَجْدل ظفائِرهُ بالأمَل كي لا يَفنى
تقضِمُ أظافِر المُستقبل
لِعلمها بأنّ الوهمَ بعيد
كَبُعد المشرِقين عَن يَديها
وَتبُوحُ لأَزرار قميصِها حتى لا تُفشي سِرّها
تنغلِق بينَ وسادَتين
مِن ريش اليمام، وَصوف جَدي ماتَ عِندَ الوِلادة
وَتتدثّر بشرشفٍ أحمر، لَم تَجِد غَير هذا اللون مِن
بينَ ألوانٍ باهتةٍ
فاقتَنَتهُ وهي لا تُؤمِن بالحُبِّ فِي ذراتِه

وَتغُوصُ بِضجيجٍ لا يسمعُهُ أحد
ولا ينحني ليَرى أنينَ عينَيها مِن ماذا يشتكي
أو يُربّت على قَلبِها السَّاخِن وَيُخرِس كلَّ حُزن
طالَها ظُلماً وَغير
أو يحبو حرفاً دافئاً انتَظرتُهُ كذِباً.

‘

كم مرّةً صَرخَ الفؤادُ برشقةِ شَوكٍ ضامي
وتنزَّهَ الحُزنُ فوقَ أكفانِ الماضي
وأزاحَ الرِّداءَ الأبيضَ لِتأخذُهُ الرِّياحُ الحُبلى بالعُقم
لترتَديهِ ألفُ وَجعٍ تكاثرَ بِجوفِ الزَّمان
وَكبُرَ وَشَبّ بينَ أعينِ الخَرفِ الأَسود
وَسَلسل أقدامَ المكان
حتّى لا تُغادر
حتّى لا تَرتوِي الحُريّة وَتطير
حتّى لا تضحَك أو تبتسِم شفاهُ الرُّمّان
حتّى لا تكون عبدةً يونانيّة

لِمعبدٍ غنيٍّ جارَ بهِ الحُبّ ومات

أسمعتَ بلحنٍ أرعَنٍ رقَصَت عليه
نصفُ قصيدةٍ، كانَت هارِبةً مِن جَدائِلي السَّوداء
فلَم تَكْتَمِل

أماني كثيرة
التفَّت حولَ عنقِ البُخل
كبُرَت كذباً، صارعَت وهماً، حتّى باتَت بلا مولِد
بِلا بطاقةِ أَمان

هَرِمْنا وحُزني ما زالَ طِفلاً
يعبثُ بِملامحي كلَّ ليلةٍ، كلَّ رعشَةِ أَلَم
يخدُشُ أحلامَ قَلبي، ويُلْبِسني الاحتياج ويُقبِّلُ كلَّ
دمعةٍ على حِدة
وكأَنَّها ما كانت تُسْقيني الظَّمأ

حتّى إنَّني لمحتُ نَفسي قبلَ عام
مِن بينِ سَرابِ الوُجودِ، بلا قافِية، بلا شيء
ووَدَدتُ لو انتشَلَ ظِلِّي
وأضمُّ نَفسي بنَفسي، وأنام.

،

مَددتُها بَيضاء طاهِرة
تَهمسُ سِرًّا انْتَشِلْني بحنِّية بلا ألمٍ ظالِم
وَانفُض عنِّي ما عَلُقَ مِن رواسِبٍ عَجنَتْها أَيدي البَشَر
فعُمقُها يَتشَردق
غصّاتٍ غير مُتَناهِية
ولا تُعيدُها خائِبة، فعُروقُها الزَّرقاء غَفَت ما ماتَت
وَساعةُ الانتِظار كانَت تَنسابُ أملاً تُحْييه كلّما نبَضَ
قَلبُها سِرًّا يا الله
رُغمَ كلّ ما كانَ وما سيكُون

،

وإِن علاَ حُزنُ هذا الكَون فوقَ أكتافي
وهَدَّني ما مَرَّ مِن تحتِ أَقدامي
سآتِيكِ يا أُمِّي
لِتضَعي يدَكِ عليَّ، وتَنفُثي حَنانَكِ وأَمانَكِ
فَتَرتاحُ نَفسي
وَأعوُد أَدراجي واهِمةً مِن جَديدٍ، مُتمسِّكةً بِالأمَل.

،

على خُيوطِ السُّنونو
أفتَحُ نافذةَ المطَر
وأُحلِّقُ فوقَ سَقفِ غرفتي
خيالاً

أرتَدي غُصنَ الأرجُوانِ طَوق
وَعُشبَ السَّعادةِ حِذاء
وَدبُّوسَ النُّجومِ دَليل

أَتَشاركُ

أَنا وَشارعِ جدّي

أَنا وَشجرةُ أَخي العامِرة

أَنا وَقلبُ أُمّي الحَزين

أَنا وَوسادةُ إخوتي المُشتاقَة

أَنا وَصَدى أَبي البَعيد

للبطءِ معنى هنا

معنى كبير، معنى للرَّاحةِ، معنى بأن أكُون وَحْدي بحَقّ

أُمارِسُ ما أُريد بلا تَعجُّبٍ بِلا استفهامٍ بِلا رَكل

إذا أرَدتُ حضنَ شيء

لا أَبكي

إذا أرَدتُ تقبيلَ شيء

لا أخجَل

إذا أرَدتُ السَّير على الماء

لا أَخاف

ثمّةَ نشوة
ثمّةَ غيمٌ أَبيض
ثمّةَ قميصٌ أزرَق
ثمّةَ (بَردٌ) على وَجنَتيّ سَقطَ مِن أكمامِ السَّماء
أريدُ أن أعُودَ إلى طيرٍ لم يُكْسَر
أريدُ أن أكتبَ إلى روحٍ لا تُقْرَأ
أريدُ أن أبُور صَمتاً

قهقهاتُ أطفالِ المطَر
مغروسةٌ كالأَشجار
وَحبّاتُ الحَلوى بنفسجية اللَّون
ممتدّة كالأَنهار
ويَسبَحُ بَينها قَلبي
وأَراهُ عادَ إلى الحَياةِ مجدّداً

لتَنتَهي قُطُبَ خَيالي هنا، فَأصحُو على صَوتِ الحُلم.

،

إيِه كَم جالَ طيفُك بينَ الوَريد
يَقتصُّ مِنهُ ما يُريد
وَألسِنةُ الهَوى تَشابَكت وأَنصَفَت
كَعذراءٍ خَجلى

بيني وَبينُك أحرُفٌ عاجِزة عنِ النُطق
وأَيدي مَشلُولة عنِ اللُقط
وَسماؤنا الكبيرة مِرآةٌ لأعيُنِنا البَعيدة

أُنحي مِن غيابِك كلّ ما لا يُعجِبني
وَتكتبُ أنتَ فوقَ الطَّلع ما يُعجبُك

نتسابَقُ إلى ظِلال الجُموح
نَنزَوي بخِفْيَة، نفتَرقُ وَما التقَينا يوماً

وَكلُّ عمرٍ جَديد يأتي
نَبقى كالغُرَباء.

،

ظنَنتُها جمِيلة
ظنَنتُها سَعادَتي
فاتّكأتُ عليها عشراً
خذَلَتنِي، وصفعَةُ قَلبي بشِدَّة حتّى أصبحَ الجُرحُ أبكَم.

،

أخجلُ بَوحاً تكرَّر وتكرَّر
على أُذنٍ عربِيّة
تَبورُ ساعتُها أعجمِيّة ولا تكتَفي

ألوذُ بِالمَرار
وَأتدثَّرُ بِعُنفوانِ النَّدى البارِد مِن فَوقِ كفوفي
وَأَبكي

كعَجوزٍ فارَقَت الشَّبابَ ونَسِيَت روايتَها بينَ تجاعيدها

أَبكي

كَمُشرَّدٍ داخِل أسوارِ وطنِهِ وَغُربةِ أهلِه

أَبكي

كَصدفَةٍ لم تَجِد مَن يَحْميها مِنَ الطِّين

والتَّشكُّل فَوقهُ غصّةً

أَبكي كإِنسانةٍ شُطِبَت

مِنَ الحياةِ ولَم تَمُتْ بَعد

أَبكي وَأَبكي

وَكأنَّ الألَم لي وَحْدي هذا المَساء

ʻ

أستَنشِقُ سماءً واحِدةً أَنا وَالسُّنونو

فِي فَجرٍ هادِىءٍ مِنَ الخارِج

مثلَ هدوءِ أَرواحِ الانتِظار فوقَ أعمدةِ الإِنارَة

أقومُ بِعدِّ كَمْ لَفحةِ هواءٍ حملَتْ معها اللّيلة

دُموعَ حَزانا
دُموعَ مَكلُولين
دُموعَ هوامِش مَنسِيّة
دُموعَ مَظلُومين ظنًّا
وَأَرأفُ بِهِم كَرأفَتي بذاكِرَتي الطُّفوليّة
الّتي لَعبِت فوقَ طاقَتِها حتّى تَلِفَتْ وَذبُلَتْ
وَاهترَأتْ.. داخِلاً

،

بَيننا يوماً كانَ هناكَ عَهد مِن وجَع
عَهداً بِكفٍّ واحِدَة تتَشلُنا مِن بُؤرةِ الأَلم
لَمحتُكِ مِن طَيفِ النَّافِذَة
أَتَيتِ كعصفورةٍ تَرتَجي دِفءَ فيروز مِن رَجفَةِ الشِّتاء
القاسيَةِ، الباردَةِ، كَبرودَةِ الصَّباحاتِ بِدُونك
ونَسَيتِ بأَنَّني الشِّتاء
بأَنَّني كانون الأَوّل، لكنّكِ لَم تنسِ بأَنَّني الرَّبيع داخِلاً

نَقرتي مَعي أَصابِعي
غَرسْتِها على ورقِ السِّنديان
وَتركْنا زهرةَ اللُّوتَس وحِيدةً متفتِّحَة
دليلاً على وجُودِنا العابِرِ، مَرسومةً بِدماءٍ غَفلَتْ
جِراحنا وسقَطَت سَهواً
هارِبةٌ وهي مِنّا، مِن جسَدِنا، مِن سِنين حياتِنا
وَحياتي أَنا الصَّغيرة

أَنتِ تَرحلين
أقبَعُ أَنا
أركُلُ عُمري الخامِس والعشرين
داخلَ صندوقِ الخَيباتِ، صندوقاً كظيماً أَحلَك
أَلمْ أُخبركِ ممّا صُنِعَ؟ وهو مكسوٌّ بِعظامي المُتعَبة
بعدَ حِين
أركُلُ كل ما فَنى كثواني
وَأصرُخُ، أُريدُ أن أُمزِّقَ جُفونَ الأَحلام
وأن أَتَحرّرَ مِن أَوهامي، مِن ما مَضى يَنحرُ بي

بِصَمتٍ، مِنَ الأَسى
مِن أقربِ النَّاسِ إليَّ
مِن يافا الّتي انتظرتُها بالثَّامِن عَشر وتركَتْني
وَأطَلتُ انتِظاري ونَسيَتْني، والآنَ لم تُعَدْ يافا لي

وَأَبوابُ العُمرِ تَضاءَلَت خَلفي، كما تَضاءَلَ الفَرحُ مِن قَلبي
وَما عُدْتُ أنتظِرُ شيئاً، لَن يَأتي.

‘

وَتَصحُو الأيّامُ مفزعةً تَبحَثُ عن رَغيفِها الطَّري
الّذي دسستَهُ فِي جَيبِ السَّماء
مُعلنةً مَجاعةً مِن أَنفاسِ البَشَر
تَغفو جميعُ الأَشياءِ مُسكرةً
وتَرنو إلى المَجهولِ، كلّ ما كانَ يوماً
تَصرخُ بي الرِّياحُ مُجبرةً، فَتَجرحُني أغصانٌ مُشرَّدَة
طلباً للاهتِمام

أبتَعدُ، وتَقترِبُ منِّي أمواجُ حَزينَة
تصدَّقَت بِكفِّها، لِتُلئم جِراحَ أيّ مَكلُول مَرَّ مِن خَلفِها

ماذا تَفعَلينَ بِجُنحِ الزِّمن –
سائرةً كمَسجونٍ مُسلسلٍ مِن أغبرَةِ القَديم؟
وإلى أينَ أجنَحُ وأَنا كَجناح عصفورٍ –
قُطِعَ في وَضحِ النَّهار
أَرى ما لا أُريد
ويَدي تنشلُّ عن نَزعِ ما يُغضِبُها، أشتَمُّ ولا أَقسو
وَلكِنْ لا أَستطِيعُ الرَّحيل
بِحقّ
لماذا ولا شيءَ يَدعو للتّشبُّث؟ –
أتعلَّمُ، أحياناً نُخدَعُ بالصِّدق –
ونَنبذُ الكذِبَ الحقيقيّ، حتّى نقَعُ بحُفَرٍ عَميقَةٍ ولا
نجرُّ معنا سوى
خَيباتِنا مِن...
مِن مَن؟ –

– مِن أَنفُسِنا أوّلاً ومِنكَ أخيراً

فَترحَلُ كالمُعتاد
وذَيلُ الصَّمتِ يَسبقُ ظِلَّك

كُلّكم سَواء
ولا ذنبَ لَكُم سوى أنَّني فَتَحتُ لَكُم باباً
لَم يُكن على عَتبتِهِ أهلاً.

،

أَتبكي يا جدَّتي القُلوب مَعنا؟
وَهي مَن اختارَتْ طَريقَنا للأَلمِ وكانَت تَحلِفُ صِدقاً
في كلِّ خَطوةٍ، وَتقطرُ عسلاً مُرًّا على عُقولِنا ليَصمُت
مؤقّتاً
أَتبكي يا جدَّتي تلكَ الوُعودُ المَهدُورة
أَتواسي نَفسَها سِرًّا، أَتلعَنُنا وتَشتمُنا قَهراً، أم هي
ترأفُ بِحالِنا

أشتاقُ يا عبقاً مُجعّد

إلى قَوسٍ لوَّن لي السَّعادةَ على ورقٍ أَبيض

وَأَمضى عَهداً باللُّجوءِ إليّ مِن بينِ ألف زَهرةٍ لم تُرى

وَمَنحَني بَصمةً تُدينُ بأبناءٍ لَم يعلموا أَهُم قادِمون أم مَنسيُّون

كنتُ وَحيدةً بسعادَة

ولَم أُنادِ شيئاً في حَياتي

كنتُ قابعةً بجانِبِ كرسيّك الهزَّاز

أتلمَّسُ مِنهُ أسرارَ تَسبيحِكَ ليلاً ودَعواتِكَ صباحاً

كنتُ أُخاطبُ شالاً نامَ بينَ الخشَبِ، وَأَدعوهُ بهَمْس

أن يَحضُنَني ويَرأَف

تمنَّيتُ لو أنَّكِ سَمَعتيني يوماً يا جدَّتي

أو أنَّكِ تنبّأتي بوجعٍ سَيُلِمُّ بِدَفاتري

وسيُنجِبُ نثراً يُخرِسُ الصَّمتَ أكثر

فأخَذتي أُذني

وأَلبَسْتِها حَلقَ الحياةِ باكراً
حتّى أسمعُ صُراخَ وجَعِ الخطايا قبلَ أن تُرتَكَب.

‘

أَنا يا رَفيقَتي ما اختَرتُكِ بِحَياتي يوماً
ولَم أنادِ عليكِ جهراً، وما كُنتِ مِن قائِمَةِ أُمنياتي
إنْ تَذكُريني سابقاً ستَعذُريني لاحقاً
أَتيتِ، فسهلاً
وتَحدَّثنا مِراراً، ليلاً ونَهاراً واتّخَذنا رَسمَنا كإِخوة
وخَجلاً منِّي لمْ أُخبركِ
بأَنَّكِ تَنتهكينَ وِحْدَتي تَدريجيًّا
بأَنَّني مُشبعَةٌ بِالهُدوء
مرْمِيّةٌ على قارعتي / أَنا فقَط
وكَثرةُ الكلامِ تؤلِمُني كثيراً
كنتُ أسمعُ نَحيبَكِ
وأَبكي عليَّ
كنتُ أُترجِمُ أَحزانَكِ

وأكتبُ ما بي
كنتُ لكِ وَفيَّة رغمَ ما كانَ، رغمَ طَبعي الأَنانيّ
رغمَ تَقْصيري الكبير
إنّما صراعُ (دائماً)
نَهشَني كثيراً
ولا قدرةَ لديَّ بَعْد

أُحبُّكِ نَعم
وأشتاقُكِ نَعم
وأَدعو لكِ كلّما مَرَّ نَسيمُكِ في خَيالي
لكِنْ
صِدقاً أَنا لا أُصلحُ صديقةً للأَبد
دَعي للبُعدِ قليلاً بينَنا مكان، وإنْ لَم أُحادِثُكِ كثيراً
فقَلبي يَضحكُ معكِ أكثر.

،

تساءَلْتُ مِراراً
ما الّذي أَتى بنا إلى نهرِ الأَحزان
ولِما رَكِبنا مَركباً زهريًّا ليسَ لي ولكَ بِهِ صِلَة!

جرَرتُ معي كلَّ عَتيق
التَصقَ بِطَرفِ ظِلِّي
حليبَ أُمِّي، مصروفَ أَبي، لعبةَ أَخي المُهمَلة
وحَقيبةَ أُختي المُرتَّبة
آه
ويَدي الّتي ترَكتُها على طاولَةِ المطبَخ
تتحَسَّس حُبيباتِ الملحِ المُتساقِطةِ من أَدمُعٍ جفَّتْ
لا أَدري لِمنْ!

أَنتَ تعلَم بأَنَّني أكرَهُ البَحرَ والنّهرَ وَكلَّ أزرقٍ عَميق
وَأخافُ مِنها كخَوفي مِنَ الموتِ وَأكثَر
وَبينَ كلّ مَوجٍ أَرى السَّوادَ وَالاكتِئاب

لستُ أَرى الرَّاحةَ كالآخَرين
أَرى كلَّ ما نازَعتُ لِنسيانِهِ، وَيأتِيني الضِّيق
فلِما أخَذتَني إلى هناكَ؟
وجَعلتَني أَحمِلُ حَقيبةَ الفَناءِ معي، تَحسُّباً للرَّحيل
تَحسُّباً للنِّهايةِ، تَحسُّباً للبُؤسِ الخَفيّ!

إنْ أرَدتُ أن أسألَ فلَن أنتَهي
وَإنْ أرَدتُ أن أعتَبَ فَسأنتَهي وَأنتَهي
أُريدُ العودَة
ولا شيء آخر.

،

لوْ الأَماني تُباعُ بعدَ أن نخذَل
لما طِرْنا بِسُحبٍ ليستْ لنا
ثُمّ إنَّني والله
ما تَمادَيتُ بِك
وما تَمادَيتُ بِظِلالِ أَشجارِك

ظَنَنتُكَ مِن عَرب مكارم الأَخلاق
وَلكنَّك مِن غيرِهم
ولَم تعلَم ما يَعني وفاءُ السَّماء
ولا الصّدقُ الأَبْيض
فضَربتَ عرضَ الحائِط
كلُّ ما كانَ لا يَجبُ أن يكونَ وَيُفعَل
أَنا أَبصرْتُ بِمحاسِنِ أَخلاقي
وأنتَ غَشِيتَ بِسُوئك

،

إنَّ الله لا يَنسى فراشةً أينَ حطَّت
إنَّ الله لا يَنسى تَحقيقَ أمنيةٍ صعدَت على جناحِها يوماً
لِيبدِلَ التَّعبَ راحةً ولوْ بعدَ حين.

،

أَتَتْ تسأَلُ عن ريحٍ سرقَت أَنفاسَ عزيز
عليها وذَهَبت

أَتَتْ تسأَلُ مَن لا يُؤمِنُ مثلَها
بالخيبَةِ، بالرَّحيلِ، بالحُزن
ليَدُلّها بِسلام

وما نالَت سوى الإِنكار
سوى طرُقَ لَم تُرَ يوماً
نالَتِ الحقيقةُ مِن جُيوبِهِم، مِن هَمهَماتِهِم، مِن صَمتِهِم
فَولّت وجهَها لِربِّ الشَّمس
وَدعَت بأن تغرُبَ حقيقتُهُم عنها
فهي ما زالَت تُؤمِنُ بالخَير
ما زالَ قَلبُها أَبيض كَبؤبؤ عينَيها
وإِنَّها سَتبحَثُ مهما اشتدَّ عليها أَلَمُ الوَهم.

،

لأَنَّني أحبَبتُ بعدَكُم
ما اشتَقْت
لأَنَّني توقَّعتُ بأَنَّنا سنفتَرِق ذاتَ شِتاء

وما أجمَل توقُّعاتي الصَّائِبة
ما بكيتُ، ولَم أُرهِقَ الدَّمع

مع كلِّ لقاءٍ هناكَ ظِلٌّ في الخَلف
يَلوحُ بالوَداع
وأَنا رأيتُهُ ساعةَ "ضِحكة" معكَم، يبتَسمُ لي
لذا لا داعي لأصغَرِ تَبرير
ولا لأَكبرِ حُبٍّ
وربّما لا داعي للذِّكرى أيضاً.

،

أنقِذ قَلبي يا الله
ودَثِّر دُموعي، عوّضني خَيراً
قوِّي إِيماني أكثَر
وَخُذني إلى طاعَتِكَ أكثَر
سامِحني، سامِحني ألفاً وألفاً وألفاً
دَعْ ذاكَ اليوم الّذي أضحَكُ فيه

على السَّبعِ هباء، يَأتي عاجِلاً بِفَرح.

،

وَابتعَدَت عصافيرُ اللّيل
وَهدأَت ونَّات الأَقلام
وَبكَت الجُدران حَبيباً

ظَنَنتُ بأنَّ السَّماءَ ستَحوي أَحزاني ساعةً
أهيمُ بها في أَرضٍ لَم أعرِفها
أُمزِّق الشَّوقَ على أسطُحِها، وأتّكِئ قليلاً على
عَربةٍ امتلأَت بِعطرِك
ولا أَرى أو أسمَع
أَهِبُ عينيَّ لِقلبِك وَأدَعُهما ينبضانِ مِنك
ثُمّ أُعيدُ الخُطى
وأَتحاشى هواءً بارداً هَمَس
أينَ يدُ حَبيبك؟

أَتحاشى نجماً غمزَ لنا يوماً
بِأمنيةٍ، يَتيمَة أصبَحت
فَقدتُ أملاً بِصفاء وجودِك
فَقدتُ ندماً صغيراً، كَمرارةِ غيابِك الأحمَق
فَقدتُ حُبًّا حَصّنتُهُ كثيراً
والأيّام كانَت تُثبِتُ بأنَّنا لسْنا واحداً
وبأنَّنا لَم نُحِبّ حقاً

بسَطتُ الأَحلامَ كمظلّةٍ أَيقنَت
بأنّ حنانَ المَطرِ أضعَف مِن صفعَةِ الرِّيح
سَلَكتُ وهماً آخرَ
وغَصّةً أسمَيتُها يافا
وتحدَّثتَ لآلافِ الأَوراق
ولَم تَستَطع بأن تَمتلكَ صوتَ قَلبي بُرهةً

حتّى الكراسِي ملّت من كَثرةِ المُنتظِرين
وشاخت

أخبِرْني أهناكَ سعيد لَم يذُق الانتِظار! -

لا أظُنّ -

إذاً لماذا البشَرُ تَزرعُ العَذاب -

إذا كانَت تعلمُ مُسبقاً بِمُرِّ الانتِظار

لماذا المُحِبُّ لا يُبعِدُ الأحزانَ عن حَبيبَتِه!

لماذا أَنا أحدِّثُ نَفسي دائماً؟

،

وَبعد التّكرار

تجِدُ نَفسَها كَنافِذَةٍ مُغلَقة

لا عصافيرَ غرَّدَت برسالةِ شَوْق

ولا جارةً استفقدَت غِيابَها

كانَت تَحِنُّ لأَشياء لَم تذُقها

وَتُقسِمُ بأَنَّها أحسَّتْها

كانَت تُوفي لأصغرِ شيء

ببراءَةِ طفلةٍ لَم تَكبُر

تُعدُّ لها السَّعادَة
وَتَضعُ كلَّ حُلمٍ على وترِ العود
لتَأتي أطلالُ اللّيل تعزفُهُ لها
تُهمِل الورودَ لِتجفّ
فَهي لا تُحبُّها حَيّة
وتضعُها كلَّ مرّةٍ في كتابٍ مُختَلف
كي يَأتي يوماً
وَيتَصفَّح كمْ مرّةً جفَّ دَمعُها عِطراً
تُريدُهُ صاحِب حَرف
أن يَهِبَ كلَّ الكلامِ مِن أَجلِها وَحْدها
تُريدُهُ أن يَرى أتفهَ أمورِها
وَيأتيها بِحُبِّ سماعِها
تُريدُهُ أن يَدعو بأمنِياتِها قبلَ أمنِياتِه
وأن تكونَ هي وحيدةُ قَلبِه

سرَحَت كثيراً
وتمنَّت لوْ أَتاها كما فصَّل هَواها

بدونِ أن يعلَمَ ماذا تُريد
لِتفتَح نافِذَتها وتَنام.

،

كلّما أنصتُ إلى فيروز
أحِنُّ إليكَ حبًّا، حناناً، شوقاً
أحِنُّ إليكَ وأَراكَ كَوطنٍ اخترتُهُ وسكنتُهُ مَلهوفَة
أحِنُّ إليكَ كَصباحٍ يُغرِّد
على شُرفةِ قَلبي
أحِنُّ إلى ضَيعةٍ بَنيناها معاً
وَبدَمعي تمنَّيتُ أن تُزهرَ أَحلامي على طُرقاتِها
بينَ يدَيك

أحنُّ إلى حبيبٍ رآني قَمراً مِن صَوْتي
سَمِعني دِفئاً
وأَخَذني قُرباً

أحِنُّ لماضي الّذي أحبَّك
أحِنُّ لكَ يا مَن عُمري أحبَّك.

❛

قد تختفي جميعُ الأرواحِ عن عالمي
وَتبقينَ أنتِ كبسمةٍ تُعانِقُ دَمعي في لحظَةِ اختنا
تُخفِّفينَ عليَّ كلَّ وجَعٍ، بِمجرّدِ أن أسمعَ خطواتِك
تأتينَ وتَختَبِئينَ خلفَ ستائِرِ الصَّباح
وَتُخبرينَ قَلبي بأن يَبحثَ عنكِ
لِيحضُنَكِ
وتَعِديني بِنسيانِ الأَلَم
بِنسيانِ عدسَةِ الكَونِ الباهِتةِ، وَأيِّ ربيعٍ سرقَ أزهاري
وَرحَل
بِنسيانِ غَضبِ اليُتمِ في شَهري
وَأن أقطعَ لِسانَ الحُزنِ اللاهِثِ على عَتبةِ أيّامي

اجعَلي صَدري وسادةً لكِ
ولا تَفتَحي للحُلمِ نافذةً معي
دَعيني أسقي عمرَكِ بعينيّ، وَأَرى السَّماء في يَديكِ تُمطرُ
والحُبَّ كفانوسٍ تثاءَبَتْهُ الشَّمسُ يوماً في ظِلِّك
أحبُّكِ أُمِّي
أحبُّكِ يا كلَّ البياضِ، يا كلَّ الفَرَح
يا رِواءً لِعطَشي كلَّ يومٍ، يا صورةً ضائِعةً لن تُنسى.

،

مَضَت والعِتابُ يسبِقُها
فَتاهَت، مُمزّقةَ الأَسى

وصمتُ المطَرِ يَحرسُها بينَ حنينِ شِتاء الكستَناء
وعِطر كفِّهِ الشَّحيح
ما عادَ هناكَ سِكةٌ ذاتُ بصَر
وَطُرقِ الانتِظار يُتِّمَت عِندَ أوّل خطوةٍ مِن ليلِ قَدمَيْها
والثُّقلُ كَطفلٍ بَكى طَرْد الحَنانِ لَه.

،

وكمْ من شَرنقةٍ
تدلَّت مِن فوقِ عُنقي
ممزَّقة تُصارعُ جمالَها مِنَ الدّاخِل
وتُبْعِدُ كلَّ أعشابِ المُستَنقعاتِ في الخارِج
تهشُّ بِعَصاها البَيضاء
مُستَضعفَة
كَراعٍ مسكينٍ أحاطَتهُ الذِّئاب
وَأغنامُهُ تبخَّرت داخِلَ أفواهِ الشَّرَه

رغمَ أنّ ليسَ لَها وزن
ولَم تُثقل عليَّ يوماً، إلاَّ أنَّها تُشاركُ غصّاتي باندفاعٍ
مزدَحِم
كلُّ ما أَلمَّ بِفيروز مِن حَجرٍ جَديد
ليسَ بكريمٍ وَليسَ بتَوأمِها

سِرّ –
وَأيُّ أسرارٍ هي الأَحزان؟
اشش –
أأصمتُ أيضاً عنِ الخُذلان؟

نطقَتْ وَكأنَّها في عَهدِ سليمان
استباحَتْ منزلاً ليسَ مِن هذا ولا ذاكَ الزَّمان
تكوَّر الرِّمال على أفواهِ الصَبار
وَنادَتها بأَسماءِ شوكِها العُذري، الّذي لَم يطَأ دماً قَط
ويسكَر مِن عِنبِ الجَواري

ألعنُ! –
لا اللّعنُ ليسَ لنا فاندَثري –
وَخُذيني معكِ فأَنا كُتِبَ قَدَري على عُنقكِ الأَبيض
بجانبِ أَقدارٍ أنتِ خَبّأتِها
وارْضي بكُلِّ شيء
حتّى بوجَعكِ السيِّئ.

٭

يا حَمام قَلبي الحَزين
طِرْ بعيداً عن داءٍ بلا دواء
أهمِسُ لِمن يحبّني
ولِمَن يدعُو لي ولِمَنْ باتَ ينتظِرُني
ليلاً أَمامَ نافذةِ الضّباب، لعلّ النَّدى يَرسمُ ملامِحي بينَ كفِّيه
وَيحتَضِنُ روحي المتعَبة

لِيتعَهَّد لي بِالبَقاء
بأَن يَبقى وفيًّا لخيالي
بأَن يزرَعَ اسمي عهداً أبديًّا على شفَتيْه
بأَن يَبكي على كتِفي وَحْدي، ويدَع الحُزنَ يَهربُ مِن مُقلَتيه
بِأن يُقبِّلَ يدايَ حَناناً، بأن يَهواني دائماً
وَينامُ ليلاً على صُورةٍ كانَت بقلبِهِ زمناً إلى المَوت
حتّى إذا ما انتَشى على لَحنٍ أندلُسيّ

رآني أدنُو إليه طَرباً، وَيرقُصُ العِشقُ بينَنا حُرًّا سعيداً
كَأنَّ الدُّنيا ما أحزنَتْنا
وَالغضَبُ لم يُفرِّقنا
وَكأنَّ العالمَ ماتَ والأَلَمَ تَرمَّل
وَبقِيتْ عَذراء الهُيامِ تنسِجُنا
بِوسادةٍ واحدةٍ لِيحرَّم الفُراقُ بينَنا.

،

قد مالَ القَلبُ يوماً
بينَ أجنحةِ ظِلِّك، ورَدَمَتْهُ سِنينُ الرَّماد بعيداً
عَنِ الخَيالِ وعَن سرابٍ خِفْتُ عليَّ مِنه

كنتُ لكَ كقَمرٍ بسَط السَّماء
بنُجومِها لِيفرَحَ فقَط بنظرةِ ضِحكٍ مِن ثَغْرِك

أَخبِرْني مَن علَّمَك
الحُزنَ زرعاً بينَ كفَّي

وَمَن رسمَني أبديّةً لدَيْه؟
أَخبِرْني إن تاهَ قلبُكَ يوماً عَن اسمي
وَبكَى قَدرُكَ رَحيلي
وَصافحتَ العندلِيبَ غناءً
يَبوحُ بالحَنينِ لِقميصِ دِفئي
أَخبِرْني شيئاً لَم أَرهُ في أحضانِ قُربِك
وَألبِسْني إسورة باحَتْ للفُلِّ بِعطري، وتاهَ عقلُك
معها في ربيعِ الحُلم
أَخبِرْني بكلِّ أُمنيةٍ وُلِدَت بينَ حديثِنا
وَعلى أيِّ رفٍّ تُرِكَت

وَلأنَّ الكونَ يدورُ عِندَ غَيري
أَلقى بروزنامةِ الفُراقِ عِندَ أقدامِ رأسِك
وَلأنَّ الجُبنَ لَم أشْتَق لَهُ
مارسَهُ طيفُكَ علانيّةٍ بِحُضوري
فَغابَ السِرُّ والنّايُ وَالحُبُّ وَفيروز وَكوخُها
فِي صناديق الأَنين

وأُغْلِقَت بلا عودَة
حتّى إنَّني أظُنُّ بأنّ النِّسيانَ أَكلها

وليسَ لي عِلمٌ بِهباءٍ
لَم يُثبِت نسيمَهُ في حَياتي
فأَنا ما اعتدتُ رؤيةَ شيءٍ بِلا وُجود.

،

أودَعتُ أَحلامِي، آلامي، خيباتي، أوجاعي
في حفيفِ جَناحِ الحَمام
ليذهَبَ بِها إلى ربِّي
ليخفِّف عنِّي ويَرحمُني ويغفِر لي ويعفُو
ويعرفُ نبضي مِن ماذا يَشكو، ودَمعي لِما سقَط.

،

تُغادِرُ كلُّ الأحزانِ إلى تراتيلِ الحَنين
وتَقفُ أمامَ فجوةِ البُعدِ، القَسوةِ، الرَّحيلِ، باكيةً بِصمتٍ

تُعيدُ دقائقَ الفَرحِ وتُخبِرُ الخَريفَ بِدفءِ السَّعادَة
وَتَشتاقُ لِغريبٍ لَم يُرَ
لِكومةَ الأَغانِي العتِيقةِ على رفِّ البَيت
لِحكاياتِ الخَجلِ خلفَ التّجاعيد
لِحَلوى الغَزلِ الذَّائبةِ على ثَغْرِ طِفلَتِها
لِعهدِ صديقتِها ولِوَفاء طَيرها وكَذِب الخَيال

ترقُصُ السَّتائرُ أَلَمَ المَطر
وبَوحَ الرِّياحِ المُغتربِةِ الّتي تَبحثُ عن عِطر
فَقيدِها
تُسايرُ الأيّامَ بِمضضٍ
وتَدعو اللَّهُ، الّذي زادَها نوراً وَإيماناً وَرِضا بِكلِّ شيء
وَتخافُ أن تستَسلمَ روحُها لِسوادِ اللّيل

تُعانِقُ شَجرةَ السِّنديان
احتواءً تُرِكَ على غُصنِها وهاجَر
وحِيدةً وَحولَها ألفَ زهرةٍ وَشوك

وحيدةً ساعةً تُسابِقُ وجودَها راكِضةً لِغيرها
وحِيدةً وإنْ لامسَتْ كفُّها سَماءَ وَجهِه

يا الله
خُذْ حُلْوَ وجودِهِم مع الرِّحيل
كي أَنساهُم بِلمحِ البَصر
ولا أَبكي قَهراً على الغيابِ الأَرعَن
بَل أشمَئِزُّ كُرهاً على مُرورِهِم فِي شِتاءِ يومي

وَدَعْني أَسهو فِي الأَمَل
وفِي بياضِ لُطفِكَ، كي لا أصحوُ يوماً باحِثةً عنهُم
وأرواحُهُم قتَلَت كلَّ جَميلٍ بينَنا

لله يا أَحزاني لله يا كذباتهم لله يا قَلبي
لله حَياتي.

‘

أحتاجُ شخصاً

- يمشي معي تحتَ المَطر يوماً

- يمنَعُ دمعتي مِنَ السُّقوطِ خِفيةً

- يُشعرُ بأَلَمي ويهرَعُ لِيمحوهُ

- يُجْبِرُني أن أبتَسمَ بِأفعالِهِ

- يُمسِكُ يَدي لأَنَّهُ يُحبُّ، وليسَ خشيةً من الزّحام

- يَشتري لي وردةً بلا مُناسبةٍ وإنْ كنتُ لا أحبُّها

- يقرأُ لي روايةً بإنصاتٍ

- إنْ أخبرتُهُ أَنَّني بخيرٍ كاذِبة، لا يُصدِّقني أبداً

- يحتضِنُني من غيرِ حاجةِ قَلبي للاحتضان

- يكتُبُ شعراً لأَجلي وإنْ كانَ أحمَق

- يعرفُ تفاصيلي بُحبٍّ

- يُغْرِقُني بحنانٍ كالأُمِّ

- يُطفىءُ غَضبي ولا يُكابِر

- لا يَرى غيري ولوْ كانَ في وسطِ المَدينة

- عندهُ يقينٌ بأنّ السَّعادةَ معي فقَط

- يَعشقُ صَوتي ويعشَقُني
- يهتمُّ بي أكثرَ مِن نَفسي
- لا يُخبِرُني بأن أَطمَئِن، بل يفعَل
- يُؤبِّد وجودَنا معاً.

،

نسمةٌ باكِيةٌ استنشَقنا
وَندىً ملهُوف بلَّلنا، ولَم نيبَسْ لِوحشِيّةِ اللّقاء
لأَسرارٍ لا تَعنينا، سوى أَنَّها ماتَت

تأمَّل عينَيّ
وَأقطف مِنها الحُزن، وَكَذِّب دَمعَها المُرّ
وَانتشِل تَكدُّساتِ المِلحِ مِن وجنتَيّ

وَيا ليت الرُّوحُ
تَكفُّ عَنْ صَدِّ الدُّجى كُلَّ مَساء
وَتتَنفَّس.

،

أُنادي وَصوتُ السَّماء
يُجيبُ بالصَّمتِ، وَالأَملُ يُسارعُ الخُطى لِيسابِق الأَماني
عُلِّقْت على أكنافِ الرَّحيل الّتي
وَدُموع ظِلّ الأَسى

وَكانَ الغسَقُ يأكلُ حمرةً مِن
عِطرِ الرُّمّان البالي
يرتَجي أَلفَ سَفر، بِبحَّةٍ مِن شَمسِ الماضي
وغيمٍ سقَطَ عِند أَوّلِ عذابِ الدُّجى على بئر اسْمِك

رعناءُ تلكَ الأحرفُ الغانِيَة
وَبلهاءُ تلكَ الأوراقُ الباليَةُ، المليئَةُ برَمادِ الحَنين
وَبِبَصماتِ عشقٍ مات

أكلَتِ المقاعِدُ تلكَ الذِّكرَيات
ولَم يبقَ سوى طيفِ ظِلّك وعبَق الفُلّ والخُزامى

وَوِسادةً انتَشلها فقيرٌ بلا منزِل
وَالبحّةُ اليائِسةُ تلكَ سُمِّيت بِاسمي
وَالبُعدُ كانَ لهُ ألفُ عِنوان
في وَجْهِك.

،

اليومُ وَجَعي كانَ صامتاً
شَعرتُ بالغصَّة مِراراً وَتِكراراً
تدثَّرتُ بِسُوَيْعاتٍ كاذِبة
كي لا أَنسى
تدثَّرتُ بِضحكاتٍ بارِدةٍ
كي لا أَبكي

وَلكنَّني عُدتُ إلى صَمتي وَما نَسيتُ
عُدْتُ إلى مدينةٍ طردتني موانِئها
عُدتُ إلى بيتٍ هدمَ هويتي مِن جُدرانِه
عُدتُ إلى رصيفٍ مُبلَّلٍ بِدُموعِ الغُرباء

كُنتُ أَراهُ حَزيناً مُتشقِقاً مِن طُولِ البُعد أو مِن هباءِ الحُبّ
أو مِن شرارِ الصِّدق
ولَم أحسَبْ بأَنْ أَرى وَجهي على مائِه حَزيناً
شِبه مُنكسِر

عُدتُ إلى ذِكرى تَنحرُ فَرحي
تَقتلُ حَباتِ الكستناءِ السّاخِنةِ مِن بَيْنِ حُضني وتُشرّدُها بَيْنَ
ظِلال المارَّة
أَكرهُ الإِنصهار
وَأَنا عائِمةٌ هنا بَيْنَ بَحرِ المَوت
وَأَنا بعيَدةٌ عَنْ قَلبٍ احتوىَ رُوحي زمناً
وَأَنْ أَجِدُ بَيْنَ أَجندةِ سنيني شَيئاً للذِكرى الميتة
وَأَنْ يضيعُ حرفي بَيْنَ دُموعي
وَأَلتزمُ الخَرس:
أَتعلم
لا أَتشاءَمُ مِنَ الغُرابِ ولا مِنَ البُوم

بل بِتُ أَتشاءَمُ من اللاإنسان
كأَنتَ وغيرَك.

،

يا ربُّ دَع الوجعَ يَمُوت لا يَنام.

،

كلّما ضاعَتِ الدُّموع
أُيقنُ بأَنَّ ما هُو أَمامِي لا شيء فأَبتسم
وَإِنْ عادت أُيقنُ بأَنَّي أَنا كُنتُ
لا شيء وَأَبكي.

،

أُريدُ كفًّا لا يَبرُد
لا يتبَدّل مَع الفُصُول ولا يتغَيّر
يَقبِضُ عليّ بِشدّة
يعرِفُ مَنْ أَنا داخلاً ولا يَغدرُ بي

يُلقي تمائِمَ الراحة عليَّ، حتّى أَعوُدَ فَتاةً مِن رَبيع
فتاةً بلا ذاكرةٍ وجَع.

،

المكان هنا مُوحِش
وَبهِ سُقيا أَلَمٍ أَسمعُ حَشرجاتِه
لا دفءٌ صامِت
لا لذةٌ قاتِلة
لا كُرسيٌ باهِت
ولا جدةٌ باردَة

أأحكِي للضَّباب المرسُوم على نافذَتي عنك
أَمْ لِقطيع الأَيمِ الهارِب
أَم لِعنبٍ مُخضرمٍ قُتِل مِن سُباتِه!

النّارُ أَكلَت الحَطب وَباتَ رَمادَ
والقلَقُ أَكلني وَبِتُّ صهباءَ حَزينَة

قاحِلةَ الرِّداء
علَّقتُ على ذلك الباب
إِرشاداتٍ بَعيدة
كَبُعدِ السَّماء، كَبُعْدِ لبنِ العصفورِ الكاذِب

لِماذا أَنتَ
ولِدْتَ على أَوراقي ولَم تَكبُر مَعي
أَخذتَ أَنفاسِي وَخَوفي وَنَبضي الفاني
وَصَوتي الشَّجي!

ولَم آخذْ مِنك
.. سوى.. سوى
لا أَدري
عَقيمةٌ هنا كلِماتي
كالرّيف وسَطَ الصَّحْراء.

،

أَخشى أَنْ يَمضي العُمر
وتِلكَ الفَتاةُ تتنَقَلُ حاملةً ذِكراك
هاربةً مِن خَوفِ فَقْدِك
كُلُّ ما تركَتهُ لَوحةً عارِيةً قَذفَتْها
في قَعرِ فَناءِ الدَّارِ، بلا بِرواز
بلا لَون، بلا مَلامِح، بلا رائِحَة
هَمسَتْ لِسِرّك
بأَنْ تَحفَظَها وتَنفُث فيها عَبق البَيلسان
في مُنتصَفِ دفءِ الشِّتاء، بِقبلات، بِكومةِ آهات، بِأَبرَد
كِساء

تَمسحُها بِطرف كُمٍّ تمَزّق اشتياقاً
برقّةِ دُموعي على ثغرِك
تَنسابُ كَشلاّلٍ كما يَنسابُ شَعري على كتِفك

الآن أَنا أَنت
وَكلُّ شِهابٍ مَرّ مِن خلفِك
أَصبَح يُضيء لكَ الآن دَربك
قلتُ لك سَأبقَى مَصلُوبَةً في العَراء
مِن قَبْلِك وَمِن بَعْدِك
وَخِلّي الوَحيد ذِكرياتٌ عَرجاءُ أَتتْ وسَتأتي
فلا ضَررَ مِن لا شيء بِجانِب الفَراغ
مِن وَحشِيّةِ ظِلّك.

،

طُوبى لغُربةٍ داخِلَ حُضنٍ
أَشبَعَتْني احتياجاً
أَرهقَتْني حَنيناً

أَحتاجُ إلى وِسادَةِ حَنانٍ منكِ لأَغفو عليها يا أُمّي
إلى سُورِ أَمانٍ مِن يديكِ يَحرسُني
إلى نُورِ دعائِكِ ليقتُلَ عتماتِ الأَلَم

إلى كلِّ شيءٍ ينتشِلُني
مِن فوهةِ العَذابِ مِن غُربةِ الأَحبابِ مِن فُقدِ نَفْسي.

،

كُنْ لي حلالاً
يأخُذُني أَمام النَّاسِ بلا خَوْف
يُمْسِكُ يدي بلا خَجَل
يَهمسُ لي بشَوقٍ ما بهِ كلَل
يرْبِطُنا عقْدُ الوفاء الأَبدي
وَحُبٌّ عشّاقٍ لا يُملُّ مِنهُ ولا ينتهي
نشيخُ معاً وَنَمرضُ معاً
وَنضحكُ معاً وَنَبكي معاً وَعِند المَوْتِ نُدْفَنُ معاً

تَكونُ أَنتَ
بِدايتي وَنِهايتي
وَأَكونُ أَنا بدايتُك ونِهايتُكَ
أَكونُ الحورُ العين لكَ في الحياتَيْن

وَتكونُ رَجُلي أَنا الأَبَدِي.

،

أحسِبُ الكُرةَ الأرضِية
هيَ المساحة الفارِقة بينَنا
هيَ مَنْ أَبعدَتْنا
مدينةٌ مدينَة، شارعٌ شارِع، وَمنزلٌ منزِل
تدورُ ويدورُ معها قَلبي ولَم نلتقِ مرَّةً واحِدة بِدورانِها
سَئمتُ البُعد، سَئمتُ الوَهْم، سَئمتُ علامةَ كفِّي على
خَدي مِنَ التّفكير
سَئمتُ بُعد هذِه الدائِرة.

،

ضَممتُ رُوحَك إلى رُوحِي
وخبّأْتُ دَمعَك في عيني، فَتلاشت جِراحُك ليلتَها
اعتدتُ على العَطاءِ
وَإِنْ جَفَّ نبعُ قلبِك عليّ

اعتدتُ على الضَحِك
وَإِنْ عَبَسَ جَفْنُك فيّ

اعتدتُ أَنْ أُرتِّبَ أَوشِحَتي
الحزينةِ كُلَّ ليلَة، بَعيداً عَنْ فَرحِك

اعتدتُ أَنْ أَبكي وَحدي رغمَ أَنَّك مَعي
أَنْ أُكرِّر كلاماً
عقيماً لِخيالي
اعتدتُ أَنْ أَعتصِر
المسافةَ قهراً كي نلتقي يوماً

،

أَخبرتُ الشِّتاءَ عَنْ مَطرٍ
سيأتي مِن كفِّ حَبيبي
أَخبرتهُ بأَنَّ سلَّةَ الفَرحِ ستأتي مَعه

وَفي جيبهِ أَلفَ حَلوى لِثَغْري المُتألِّم
وَفي قدرهِ معطفَ السَّعادة لنا نحنُ الاثنين
واسمي مَكتوباً في خاتمٍ بعيد يَنتظرُ إِصبعَه
أَخبرتُ النّاي على شُرفةِ الغَريب
بأَنْ يَعزِف لَحناً مُترفاً بالفَرح، مرّةً واحِدة
إِكراماً لأَيام الشَّجَن
أَخبرتُ بِرواز جَدّي المُثقل بالمجهول على مَكتبي
بأَنَّ صُورتنا ستحتَضنهُ قريباً وأَنَّ الكونَ كلَّه سيطير فَرحاً
بداخِله
أَخبرتُ أُمِّي بأَنَّ تاجُها الأبيَض
سيبدُو بَهياً على شَعري الأَسْود
أَخبرتُ قَلبي بأَنَّهُ
سيَضحَك، ورَبِّي قريباً سيضحَك
أَخبرتُ الله بحُبِّي الصادق
وَنِيَّتي البيضاء كاليمامة، وَكلّ شُكري الفقير إليه
أَخبرتُه بكُلّ شيء

ونَسيتُ إِخبارَك بأنّكَ
رُوحي الّتي تاهَت يوماً وَستعُود معكَ وحدَك
أنّكَ مَنْ أَرى في مرآتي مُرتاحة
فكُنْ وَفياً لَها وَلَك.

،

تركَت دَمعُها الحَزين على خَدِه ورحَلت
تركَت في قلبهِ رائحةَ شعرِها الأَسْود
أَجفَلت وقالت للرّحيل:
خُذْني
وَانتَظرت السُّنونو عِندَ الفَجر
هاربةً مِن حُبّهِ وَوحِدَتهِ
وَكانَ قبلَها اللَّيلُ، لابساً الغزَلَ وَالدَّف بَيْنَ هَمْسِهما
أَجفَلت
وَالشَّوقُ اعتصَر اليدَيْن قَبلَ الفراقِ لاهِفاً
أَجفَلت
وَأَيامُها بَعدهُ صرخَت قَبل اللّقاء

أَجفَلت
وَكأسُ النَّبيذ سقَطَ حُلْوُهُ مرًّا
وَالشَّجنُ يرتدي تواريخَ الذِكرى
وَالوتَرُ يعزفُ آهاتِ قُبلة
وَالبُكاءُ كالصَّلاةِ يُكحِّلُ العينَ الذَّابِلةَ أَلفَ مرّة
وَالحُضنُ في سبيلِ البَردِ انتَشى

قالتها بملءِ الأَسى:
لَنْ يُعادُ الفَرح وإِنْ كانَ زَهرةً برِّيَّة في أَرضِنا
قالها بملءِ الأَلَم:
سيُعادُ كلُّ الحُبّ مُمزّقاً في جَيبِ النِّسيان

وأُحِبُّكَ أكثَر
مِن حُبِّي لِرَنَّةِ العُودِ في ليلِ الجِراح
وأُحِبُّكَ أكثَر
مِن سَعادتي بِرؤيةِ وَجهِك المُشتاق
وأُحِبُّكَ

خيالاً يُعيد لي كلَّ ما لَم أُمسِكه بِيدي
خيالاً بَعيداً عَنْ دم قَلبي القريب مِنك

ولَم يأتِ نسيمُك
وَمَرَّ الوقتُ خائِناً لِظلّي الباسِط على الطَّريق
خائناً لِطيفِكَ المَلهوف
خائناً لِلحَنين
وَكَلَّ الظَّنِ أَنَّ الآتي قصيدةً مِن شفتَيك
خاتِماً مِن يدَيك، عِشقاً مِن عُشّ قلبِك
وَالظَّنّ يبقَى ظنًّا
وَيبقى الحَرفُ يكتُب بكاءً بعدَ كلِّ شيء.

،

قد شاب ظَهري رَحيلاً
هارباً إِليكَ وَمِنْك
وَقد حنَّت الرّوحُ لِهمسِ الكُفوف
معَكَ وبِكَ

وأَنا أَكتبُ رَسائِلي
خِلسةً بَيْنَ الغسَق البعيد
وَأُخبّئُ خُطواتي المُشتاقَة
بَيْنَ خَريفِ السِّنين
وَأَدعُو عِناقاً دافئاً هنا
يُحيطُ اسمي بِحنان الرّبيع
وَأَبكي على سواعدي خيالاً نثَرْتُهُ لِلكَوْن عُرساً
أُريدُ كلّ ما فيك
أُريدُ سَفراً بَيْنَ عينَيك
أُريدُ مرسى دائماً في يدَيك، أُريدُ كهولةً تُدثِّر عُمرَنا
وَعجزٍ يخشى قُربي، وَمنفَى بعيداً عَنْ أَسواري
وَمدخنةٍ أُحرقُ فيها آهاتِ تِلكَ الكَلِمات
وَأُريدُ كُلُّ ما لا أَستطِيعُ قولَه
وَما لا أَستطيعُ فِعلهُ
وَكالحُلم أَبقَى أُريد
وَكالحُلم تَبقى أَنتَ هناكَ بَعيد

وَأَبقَى أَنا راحِلةً إِلَيكَ مِن غَيرِ لِقاء
وَتبْقى أَنتَ ذِكرى، خيالاً صامتاً، إلاَّ مِن لملمةِ الفَقد.

،

خبّأتُهُ قلباً في قَلبي
وَأَخبرتُ التَّعَب
بأَنّهُ رُوحٌ لأَلمي
بأَنّهُ زَهرةُ جدّتي الذابِلة
وَربيعُ اللّقاءِ الوحيد
وَكُلّ تذكرة سَفرٍ اهتَرأت في جُيوب السّاكِنين
بأَنّهُ سَعادتي الحَزينَة
وَمِرآةُ ليلي البَعيد

كلّما اقتَربتُ مِنَ السُّقوط
تلقَّفَتْني عيناه حانِية
وَأَحاط الكونُ بَيْنَ يدَيهِ رسالةً
مليئَةً بِكلِّ همسةٍ وَإِغفاءةٍ وَكُحلٍ رَآهُ منِّي

بِكلّ خطوةٍ وَلمسةٍ وَدمعةٍ أحَسّ بِها في غَفلتي
بِكلّ حلمٍ زارهُ بجانبي

وأَنا كالكِتاب في حياتِه
كالسَّعادة في غليون سَمائِه
كَوحدي في يومِه وَنومِه وَصحوتِه
وأَنا أُريدُكَ الكونَ الّذي يَشتاقُ للغَيمِ وهو في أَحضانِه.

،

رُغمَ كُلّ شيءٍ غابَ معَك
إلاَّ أَنَّ نسيمَ حَرْفِك ما زالَ يُداعِب ثَغري كلّما هزّهُ الدَّمع
يُخبرُني قِصةً كاذِبة، وَيهَدهدُ قَلبي على مَهل
رُوَيْدَك، رُوَيْدَك
يا مَنْ زرعتَ الشمسَ في كفّي
يا مَنْ أَخبرتَ القمَر عَنْ وَجهي
يا مَنْ بَسطتَ النّجمَ خُلخالاً في قَدَمي
رُوَيْدَكَ عَنِ الرّحِيل

وَإنْ كانَ سَراباً منِّي
رُوَيْدَكَ عَنِ الفُراقِ وَإنْ كانَ هَمساً منِّي
رُوَيْدَكَ عَنْ أَلفِ عامٍ قَضيتُها حلماً انتَصف بَيني وبينَك
رُوَيْدَكَ حُبًّا لا تَحتملهُ عصافيرُ شُرفتي
شوقاً بَكى يوماً بدُونِك، حَكى لِلحنين عَنْ دُهورِك
رُوَيْدَكَ عنِّي وعَنْ اسمي
وعَنْ تاريخِ أَوّلِ رَجفةٍ طَالت غيمَ حُبّنا.

،

وَكأَنَّ الحُزنَ لعبةٌ تتهادى بَيْنَ كفيَّ
وَتَختبئُ خِلْسَةً في سَريري، لِتعانق الحُلم دَمعةً باسِمة
لتعيدُ مشاهِدَ الأَلَم فوقَ أَوتارِ الغَزلِ الضّامي
لِتَقْذِفَ وَحلَ الوَهْمِ فوقَ طِينِ المطَرِ وَتبُوحُ لِلسَّماء بِغضَبٍ
ضِحْكَتي باتت باهِتةً كشالٍ تشَرَّدَ
في ليلِ الشِّتاء، بَعدما أَلقاهُ الأمَلُ بعيداً كالهَباء
وَكأَنَّهُ ما حضَنه ليلة فراق السَّعادة عنهُ، بإِصرار
صَوتي كانَ صديقاً لِحنجرةِ النّاي

يَحكي لِلهوى وَيَبكي للماضي، وَينزَعُ كلّ قلائِد الكذِب
وَينامُ مَقهوراً بَيْنَ صَدري وعينَيّ
ذاتي أَصبحَتْ لا تُجيدُ انتظاراً ولا نِسياناً ولا تبَلّداً

وخَناجِرُ الزَّيزفون
عطَّرت الأَوراقَ وَالهوية والعُمرَ كُلّه
ولَم يبقَ غَيرَ عدِّ الكأسِ الأَخيرةِ على طاولةِ اللامكان

كُلُّ شيءٍ بالي
كَ يدٍ ما عَرِفَت الحنان
كُلّ شيءٍ خالي
كَ وجهٍ ما زار الحُبّ
كُلُّ شيءٍ قاسٍ كَعينِ يَتيمٍ ما لمَحَ الأَمان
كُلّ شيءٍ أَصبَحَ طبيعياً، والطَّيرُ الرّاحِلِ نَسِيَ الخُبزَ
والعُنْوان
وَها هيَ تَقفُ جالِسَة
لا أُفقَ أَمامَها سوى جدارٍ أَبيَضٍ عَرَف البَرد

وَالفَراغ، وَذاق فاهَ الصّبارِ خِلسةً وَالعسَلَ مرّةً، وَكُلّ حَدبٍ
هربَ بائِساً
إلى أَغصانٍ وُلِدَت بَيْنَ الغَيمِ لا بَيْنَ السِّجن.

،

كانَ الدِّثارُ أكبرَ مِنْها
والمدينةُ لا تعرِفُها
احتوَتْ رُوحَها بِكسرةِ ليمون ناشِفة
وَصمَتتْ ساعاتٍ أَمام طُرقٍ خرساء، كَيمامةٍ قُتل لسانها
ساعةَ مرسالِ الحُبّ
اعتنقَت الدِفء مِن ذِكرياتِها معَهُ
وَأَتتَ بِالغُربة وَقبّلتها كما كانَ يُقبّل عينَيْها
بكَت وَمسحَ الدَّمعُ ملاكَها

حَزينَةٌ كَعودٍ فقَدَ صاحبَهُ ولَم يعُد يغنِّي للفَرح
رُكِنَ عِند أَوّل زاويةٍ حَمقاء

وجهُهُ أَمامَها كالضّبابِ الحَزين
يناديها بِهلُمي وَلكنَّه ليسَ موجُوداً، يُغازِلُها سِرًّا وتبتَسم
لِخيالٍ ما زالَ يُداعبُها رأفَة
أَينَكَ يا كُلّ أَيامي
يا أَوّل أَفراحي وآخِر أَحزاني؟

* على طَرفِ مقعَدِ الحنين
إِياكَ بالغِياب / إياكَ بالرّحِيل وعَيناي أَنتَ وَالرُّوح أَنتَ
يا مُهجَتي اليَتيمة.

،

ولأَنَّني وجدتُ غربةَ وطَني مؤلِمة
لا بأسَ لَو تألمتُ بِحقّ في غربةٍ بعيدةٍ فعلاً.

،

محظوُظٌ مَن وجَدَ قلباً يُصبِّحُ عليهِ بِأَنتِ فَرحي
وَيُمسي عليهِ بِأَنتِ لي.

‘

سيبقَى شَوقي إليكَ سِرًّا وَحنيني لِريفِ قلبِكَ سِرًّا
وعَبثي للصَّمتِ عنكَ سِرًّا.

‘

القَسوةُ يا الله
أَبْعِدها عنِّي
عَنْ أَحبِ النَّاسِ في عينيّ.

‘

وَلَو كانت يدُ الغريبِ كالغيمِ خفيفَةً ناعِمةً
ما ظَننتهُا ستُغريني عَنْ يدِك وَإِنْ كانت كَخشبِ الغابِ
الحَزين.

‘

ما زالَ بعضُ خلقِكَ يا الله يَزرعُ الشَّوكَ بالنَّهار

وَيُطالِبُ بالزَّهرِ ليلاً
ما زالَ بعضُ خلقِك يا الله ظالماً.

،

يَعودُ القَلبُ مُنكَسِراً
لكِنْ لِـ الله وحدهُ مِن دُون البَشر.

،

مِنَ المُرهقِ أَنْ تَجِد أَنفاسَكَ الّتي كانت الحَياةُ لِمَن تُحبّ
أَصبَحَتْ لا شيء
كَقطّةٍ ماتَ صاحِبُها.

،

لا أَعلَمُ ما كانَ سيحلُّ بي
بِدُونِ القُوَّةِ الّتي وهَبني إياها الله في قَدري
بِدُون الصَّبرِ في أَصابِعِ كفّي، بِدُون كِبريائي البريء.

،

تَعبتُ وأَنا أَبُوحُ لكَ بالكَثير
تَعبَت أَنفاسي وَهيَ تَقطَعُ مَسافات بُعدِك
تَعِبَ الضّبابُ الّذي في صَدري، تَعبتُ منِّي إِلَيك.

،

ما زالَ رِمْشي غافياً
على عَتمةِ اللَّيل، ينتَظرُ فرجَكَ يا الله مع شمسِ الأَحِبّة.

،

تُرْهِقُني النّداءات
المبتَلةُ بالمَطرِ والدُّمُوعِ وسُحِبِ الشِّتاءِ القاسِية
تُرْهِقُني بشِدّة.

،

لَو كانَ دِفءُ قلبكَ صادقاً عليّ
لربَّما أَبقاكَ اللَّهُ في قَلبي.

،

وَفي شِدَّة الاحتياج
نصفُ كفٍّ دافئةٍ تَكفي والله.

،

وأَنتَ يا الله أَكبرُ
مِن كُلِّ أَلَمٍ هدّ رِمشنا النّدي.

،

علِّمني يا الله أَنْ أَغفِرَ لِقسواتِهم وَكَذِبِهِمْ وَكَسْرِهِم
لكُلّ جميلٍ أَهديتُهم إيّاه.

،

مِنَ الحُسنِ أَنْ تُشَذِّبَ أَغصان الخَريف بهمسِك
لعَلّ زهرةً منها نمَت في شعرِها الغجري وَأَفضَت لَها سِرًّا
مِن قُبلِ قلبِك.

،

دقاتُ القَلبِ تطرِبُ لِمَن تَهوى
وأَنا وَعيني لكَ مَنفى.

،

جارَ الزّمان على حُزنِها
فَغدَت بالِيةً في عَتمةِ صوفيٍّ سها.

،

وَالدَّمعُ أَنهكَ
عينَ الصّائِمين عَنْ قربِك.

،

أُخاصمُ حُضورَك
وَأَنتَ كُلَّك بِداخلي لَم تذهَب.

،

أَنا لا أُفكِّرُ فيكَ
ولا أَتمنَّى عُبورَك
ولا أَفيءُ لِلنَّجمِ بِكلّ قصيدةٍ تَعنيك.

،

هَلْ يَهوى
الطَّيرُ عشاً بِدُون أَطفالِه!
فَيا ليتَك كُنتَ طَيراً وأَنا طفلتُك، لِتهواني.

،

فليَصُمْ قلبُك عَنْ ذِكري، ويَنام.

،

وَالأَشخاصُ الّذين يصعُبُ على النَفْسِ أَنْ تغفِرَ لهم
مَنْ وضَعْنا بَيْنَ أَيديهمْ مِفتاحَ قلبِنا أَمانَة.

‘

يتمَزَّقُ كُلُّ ما في تحتَ المطَر
وَوحدَهُ طَريقُك يَبقى مُعبّداً في جسَدِ اللَّيل.

‘

لي القُدرة على الرّحيل، على القَسوة، على البُرود، على التجاهُل
إنْ فاضَ بي منك
وَلو كانَ في قَلبي لكَ حُبّ بحَجم الدُّنيا والسَّماء.

‘

ذِكرياتي الجميلة القادِمة ستدفنُ الحزينَة يوماً
وأَنا سأَدفِنُ كُلَّ شيءٍ خلفَ ضِحكتي الّتي أَحببتَها أَنتَ وجدّتي.

‘

وَأَشكُو إِليكَ يا الله دَمعَ همّي
وليسَ لي في عِبادِك قَلب
سوى قَلبَ أُمّي

‘

وَأنفثُ أُمنياتي
في صَدرِك قَبلَ أَنْ تَنام
عَسى أَنْ تَحلُم بِها ليلاً، لِتُحقِّقَها لي في الصَّباح.

‘

تِلكَ اللّحظَة الّتي يضيعُ فيها وقوفُك وهدوؤكَ وسَط رياح
الأَلَم
تِلكَ اللّحظة بائِسة.

،

كَم وَددتُ أَنْ أُخبرَكَ بأَنَّني آسفة وَبأَنَّني أُحبّك
وأُقبِّلُ خدَّكَ النّائِمَ عِندما أُضايقُك
لَكِنَّني والله عاجِزة عَنهم.

،

وَالأَشدُ إِزعاجاً مِن شُعورِ تأْنيب الضَّمير
أنّكَ لا تستطيع أَنْ تُكفِّر عَنْ خطأَك.

،

أُحبّك خيالاً ما تجرّأَ أَنْ يُحزِنَني
خيالاً ما أَحبَّ البُعدَ وَهجَر الشِّتاء وَتركَ خلفَه المطَر.

،

ما زِلتُ أَدعُو الله بِقلبٍ على قَلبي
كأُمِّي.

،

وَاحتضَن الظِّلان بعضَهما
عِندما أَصبَح أَحدُهما أَعمى.

،

أَعيريني بُرودَكِ عِندما أَبكي
وَصَمتَكِ عِندما أَحتاجُ للكلام، وَقُربَك عِندما أَتألَّم.

،

أَخشَى
أَنْ يفوُتَ أَوانُ كُلِّ شيء
أَوانُ نَفْسي التّائِهةِ عَنْ نُورِك يا الله.

،

لَو أَنَّ عينيّ تُقابل عينيه
لاستيقَظ الشّوقُ مِن نومه

لَو أَنَّنا لم نلتقِ، لكانَ كُلّ شيء أَهْوَن
وَلكانت نَفْسي أَجمل.

،

أَلا ترى الشَّجر كيف يَبكي في الخريف
وكيفَ تَحضنُ الأَرضُ دَمعَة
هذا حُبًّا كانَ بينهَم يوماً ومات.

،

إِنّ قلبَ أُمي لأَلمي وِسادة
ويدُ أَبي لِخوفي أَمان.

،

أَخْبِرْني بأَنّكَ لن تأتي، أَخْبِرْني بأَنّكَ لَم تَشتق
أَخْبِرْني بأَيِّ شيءٍ يُعيد لي وَقتي.

ʻ

ضحكاتُ الصِّبا
وَعبَثُ الحلوى
وَصباحُ الخَيرِ وَنومٌ هادئ مَع المَطرِ
أصبَحْتَ بِداخلي كَكسرةِ خبزٍ جفَّت وتُرِكت للحمام.

ʻ

تفاصيلي الصَّغيرة، التَّافهة، الغَريبَة
إِنْ لَم تُسعدك فَهي تُسعِدني.

ʻ

وأَكرهُ الحدودَ وجوازَ السَّفر وكلمةَ لاء
وحرِّيتي تحتَ رِدائِهم
أَكرهُ يا الله وَهْمَ قُوَّتِهم على ضُعفي.

‘

لأَنَّني جَميلة
خبّأتُ أَلمي في زَهرِ اللافندَر
فإِنْ فاح، فاح عِطراً.

‘

القلب الّذي يَبكي دائماً
يَحتاجُك الآن أكثَر مِن أَيِّ وَقتٍ مَضى
يَحتاجُك كآخَرَ وَلستَ أَنت.

‘

ظَننتُ العُمرَ ضِحكةً وَدمعَةً فقَط
لا محَطةَ قِطارٍ أَسكُنها
وَأَبقى أَفقدُ إِصبعاً إِصبَع، وأَنا أُلوّحُ بِقَلبي نازِفة.

،

والنّمشُ حَجَب مُقلتَيْها عَنِ البَشر
صَهباءُ تَبكي بلا دُموع، ليسَ لَها وجهٌ، ليسَ لَها ماضٍ
ليسَ لَها حاضِر
كَتمثالِ شمعٍ يَنتظِرُ الذَّوَبان.

،

وضَّبتُ رُوحي للرّحيلِ دائماً
وَعلَّمْتُ ذاتي بأَنَّ البَقاء كافرٌ ليسَ لهُ إِيمان
وَأَنَّ الأَبدِية خُلِقت لتُتعسنا
وَيجِب أَنْ أُنصفَ أَبناءَ قَلبي بأَنْ لا أُيتِّمَهُمْ باكِراً

،

أَحتاجُ غَفوة
لا أَصحُو بَعدَها إلاَّ والنِّسيانُ قد أَكَلَني.

‘

وَأَتُوقُ الهَرب مِن فوقِ مَداخِنهم بيضاء
لا فَرق بَيني وبَيْنَ سَحابةٍ عابِرة.

‘

في القُربِ أَلَمٌ وَفي البُعد أَلَم
ولا غيابٌ هادِئ يُعانقُنا كي نَمضي بِسلام.

‘

ليسَ هناكَ عِبءٌ أَثقَل مِن زَخّة مَطرٍ غصّ بِها فُؤادي
وأَنا أُلَوِّحُ للمارّة
عَساني أَصِلُ إِليكَ وَتلتقِطَني تحتَ مظلةٍ واحِدة
لِتحتويني.

‘

أَنا العُصفورَة الّتي تتمنّى
أَنْ تَبقى سَجينةَ قفَصِ صَدركِ يا أُمّي.

،

أُسافرُ إِليكَ وَأَعودُ خائبةً مِن بُعد اللّقاء
فَأَدْعو الله مطراً يجمعَنا.

،

قَد تجِدُ نفسَك صامتاً
وقَدْ تَبُوح بِجراحٍ كثيرة فيك
وقَدْ تُخبِّئُ الكَثير لِظنٍ ما خاب
بأَنَّ القُلوبَ اكتفَتْ وإِنْ كانَ قلباً واحداً عَليك.

،

ومسَحتُ دَمعَ عينيّ مِن جِراحِكَ
لكِنَّ دَمعَ قَلبي ما زالَ ينسَكِب.

،

تعوّدنا أَنْ نَمضي ويَبقى خلفَنا اسمُكم

ونُنكِر لَهفتَنا إِنْ مرَّ خاطِرٌ لكُم
تعوّدنا أَنْ نَكسِرَ شَوقَنا إِنْ كَذب قُربكم
تعوّدنا أَنْ نُراضي أَنفُسنا إِنْ نامَت قلوبُكم وأَعينُكم عنّا.

،

أُداري كلَّ شيءٍ فيكَ أَتعبني
وَأَقول راضِية، وَأضحَكُ كاذِبة والله.

،

يَنامُ العالم كلّهُ وأَنا مُستيقِظةٌ بَيْنَ أَحزانِك.

،

أَفتقدك
مَطراً حلواً في حياتي
ويوماً لَم تَكُن فيه معي
وَوروداً زيّنَ تاج حديثِنا معاً.

ʻ

ضُمِّيني حينَ أَفرح، حينَ يصدمُني الزّمان بِحلمٍ أَبيضٍ
بهتَ لونُه مع الشِّتاء ذات يوم.

ʻ

أُعاهد نَفسي على شيءٍ فلا أَقوى عليه، كَأنّك سرقتَ
عينيَّ لدَيك
فلا تَرى سِواك ولا تَبحثُ عَنْ سِواك، ولا تُريد سِواك.

ʻ

يَجيءُ قلبُها باكِياً في عَتمة المساء
ولا أَملكُ لَها سوى كفٍ تُزيح دَمعَها السّاخِن
وأَنا أَسمعها وَرُوحي عليها حَزينة، عاجِزة.

ʻ

يا ليتهم أَصرُّوا في البَقاء

كما أَصرُّوا في مَعرفتنا.

،

أَجمَل ما في العُمرِ الآتي أَنَّ الصَّمت يَكبُر
وأَسوأ ما في العُمرِ الآتي أَنّكَ بَعيدٌ عنِّي.

،

لَو أَنَّهُم يَفهمُوا ويَهتمُّوا فقَط
لنامَت أَجفان بلّلَها السَّراب.

،

وأَنا أَخجَل إِنْ خبّأتُ حُزْني
أَنْ يَفضحهُ حَديثي، أو تَفضحهُ عيني، أو صَمتي عنكِ
أَكرهُ ذلك يا رَفيقتي.

،

هناكَ خلفَ السَوسن، والشِّتاء، والشِّعر، والاشتياق

أَبوحُك سُحباً بيضاء ذاهِبة للّه.

،

ما زالَ بالقَلب كلام خائف، خَجول، أَنْ يُحكى.

،

لَو أَنَّ الأَحضان تَتشابه لربَّما زالَ حَنيني إِليك
وما رَثيتُك.

،

تأَخّرتَ كما تأَخَّر بَوحُك وَوجُودُك
فلمْ يَعُد للّقاء معنى بيننا سوى تِرحالٍ بلا عَودة.

،

احتَرم فُلاًّ خَجِل أَنْ يَذبُل بَيْنَ يدَيك
خَجِل أَنْ يتألَّم مِن فراقِ غُصنهِ لأَجلِك.

،

تَعُود جميع خطواتِهم، لِترسُم ذِكرى لِتكتُب دَعوة لِتبكي
فُراقاً
لِتُضيء لِقاءً عاهَد مَطرَ الإِخاء.

،

وأَنا يا الله حَزينَة بقدرِ كُلّ ذَرةِ حُلمٍ لم يعرِف عنواني
حَزينَة يا الله لكنِّي بِخير.

،

وأَضمُّ جِراحي على ورقَةٍ وأُكرِّرُ كلّ الأَوهام الّتي خَذلَها
الحُلم
بِدُون أَنْ أَبكي.

‘

لكَ أَنْ تتخَيّل كَمْ مرّةٍ دفنتَ نجمةً بَيْنَ عينَيها
وأَتيتَ إلى بحرِها غَريقاً، إِلى أَنْ عانقتَ أَسرارَها
وتلاشَيت.

‘

العالم بِدُون صَباحِك ليسَ بِنهار
واليوم بِدُون هَمسِك ليسَ بِحياة
والدَّمع صام عَنِ البُكاء لأَجلي.

‘

وأعرفُ أَنَّ الحُبّ بناء
بناء لِلقُرب وبناء للأَبدِية معاً، كَشجرةٍ
دائِمة في حديقةِ المدينة.

‘

تغافُلي لَنْ يَمحي وجَعي
بل سيمحي لِساناً قَد يَجرَحُكِ أَكثَر ممَّا جَرحتني.

‘

مِنَ المُؤْلم أَنْ تحتَفِظ بكلامٍ كثير يُؤذي قلبَك
منهَم ولا تُخبرهم
مِنَ المُؤلمِ أَنْ يُنسَى وجودُك
وأَنتَ ما زلتَ أَمامهُم تبتَسِم كأَنَّهُ لا يُهِم.

‘

عشقي، لِيومٍ لكَ
يعجَز أَنْ يَكتَمل بِدُوني.

‘

أَحياناً لا تَملكُ أَنْ تقبل حبَّهم سوى بِالدُّعاء
أَحياناً تَخشَى بُعدهم، فَتزرَع بداخِلك أَنَّ الفراق قَريب
وتَبكي هكذا لأَنَّكَ لا تَملك سِواه.

،

وكِبريائي يَعجَز أَنْ يَقول لكَ تَعال
وأَنا أَعلَمُ بانتِظارك
يَعجَز أَنْ يَقبَل بِخدشٍ بَسيط ولَو كانَ مِنك
ولَو كانَ عبَثُ الشّوقِ كبير.

،

وأُربِّتُ على دَمعي كي لا يَجرحني
كي أَراك بلا ضَباب الحُزن.

،

وكأيّ رُوح تتمنّى احتضاناً يَدُوم بِحنان
يَكُون برائِحةِ مَنْ تُحبّ

أَتمنّى.

،

هَلْ لنا بمدينةٍ واحِدة تَجمعُ عِناقَنا بِدُون أَلَم
تَرسُم بسمتَنا في هُدوءِ خوفاً عليها مِنَ الانكسار
تَبني لنا داراً يُغطّينا.

،

أَصحُو وأَنا أَتمنَّى صباحاً بَيْنَ قلبِك
فَأَعُود لأَذْكُرَ مُرّ الأَحلام
وأُكمِّلُ يومي كَعادتي وحيدةً إلاَّ مِن عَسل الخَيال.

،

عِند كُلّ همسةِ سَماءٍ أَذكُر مَطَرك الجاف
وقلائدَ الوَعدِ المُسافِرة
وأَبكي.

‘

مِنَ السُّوءِ أَنْ تَنام
وتَترُكَ قلبكَ يقِظاً عِندَهم.

‘

لا أُؤمِن بالعتاب أَبداً –
ولكِنَّهُ مِنَ المَحبة –!
لَو كانت بَيني وبَيْنَ هذا الشّخص مَحبةٌ لما جعَل لِلعتاب
طريقاً هنا –

‘

ليسَ كُلّ ما نَشتَهيه يُقال وليسَ كُلّ ما يُؤلمنا يُبكينا
كما ليسَ لنا في أَحلامِنا يَد.

،

لَو كانت أَحاسيسُنا عابِرة
لارتاحت نَوافِذُنا، ونامت وسائِدنا واعتَكفت السَّعادة فينا.

،

وَوَدّدتُ لَو يردّدُ الصّدى كلمةً واحِدة فقَط
(اشتَقت لكِ)
كي أَشعُرَ برُوحي كلّما تاه قَلبي بِبُعدِك.

،

أَلُوم نَفسي كيفَ أَبَت البُعد
وهيَ لم تكُن غارِقة بَعد في غياهِب اسمك.

،

قَد تَحتاجُ الكَثير لتَحكي وقَد تَحتاجُ القَليلَ لِتصمت
وقَد لا تَحتاجُ سوى لِقُربِ أَحدِهم.

،

أَتاك الشّوقُ باكِياً، وليسَ لهُ أَحَد
حتّى أَنت.

،

أَكرهُ أَنْ ألمَح مَنْ رحَلوا في قَصيدة
أو في صُورة أو في وجهِ شخصٍ أو في صَوتٍ بعِيد
وأَنا مَنْ تُعانقُ النِّسيان كُلّ يومٍ بِسببهم.

،

فرَحُها
كحَّل عينيّ وهيَ لَم ترَ
وَتَعبُها
أَرهَق قَلبي وهي لم تسمَع.

،

أَتُوه متعَمِّدة تحتَ المطَر
لِتنادي بخوفِك على جَدائلي السّوداء بأَن تَقتَرب.

،

وصَوتي لِكفّك لَنْ يَقول لا
وعيني لِبُعدِك لَنْ تَقول نعَم.

،

فَتشدُو الصّبابةُ حائرةً خَلفَ شعرِها بأَنْ تَخشى جَواداً
يَذكُرها
فَيميلُ قلبُها وَرُوحُها ميلةً هائِمة
بأَنَّ شَوقَها غَلغلَ النَّجم وسَماءَ مَنْ أَسرها.

،

قَد كانَ الأُنس زائِراً يوماً هنا

فَذهبَ النّدبُ صائماً مِن ماءِ عينيها.

،

أَشتاقُ ليومٍ لا أَحِنّ فيه لِشيء
يوماً واحداً يمضي والقَلبُ استراحَ مِن كُلّ شيء.

،

وأَهمِس لكَ مِن بعِيد بأَنْ تَبقى كما أَنت
هادِئاً عاشِقاً للسَّفر ولِلمسافات.

،

وحَديثُ قَلبي معَك لا يَنتهي، وثَرثرتي تُحبّ إِنصاتَك
تُحبّ لَمعةَ عينَيك العاشِقة في الفَجر.

،

حَنينٌ لأَلَمٍ لا يَدُوم، لِبيتٍ يَضْحَك
لِشراشِفٍ غُسلت بِنُور الصَّباح

حَنينٌ لِكفٍ دافِئةٍ تحتَ مَطرٍ مُشتاق
حَنينٌ للشِّتاء ولِكلامِهم ولأَيامِهم الّتي
لم تكُن تَغيب قَبل أَنْ تُقبِّل نُعاسَ عينيّ.

،

لا بُدّ أَنْ تُخبِّئ شيئاً في قلبِك
وإِنْ كانَ أَمامُك أَخ صَديق أو حتّى حَبيب،
لا تَهدر كُلَّ بَوحِك لهم.

،

قد تُقرِّر الحديث يوماً
تُقرِّر بأَنْ تبُوح بِكلِّ شيء
تُقرِّر بأَنْ تُلقي عِبء كلام قلبِك عليهم
وفي لحظَة حقيقِة، يرتديكَ الصّمتُ
ولا يُحدث شيء.

‘

لأَنَّ لكُلّ شخصٍ حياتُه البَعيدة عَنك
لا تَتفاجأ إِنْ نَسِيك يَوماً أو قَطع بعدَ السُّؤال
أو أَحبَّ غَيركَ
أو مَضى عنكَ بِدُون.

‘

سامحني يا الله إِن اعترضتُ يَوماً
إِنْ سَئمتُ وإِنْ يَئست
سامحني وكُنْ لي نُوراً حتّى في الحُزن.

‘

الّذي جَعلني أَشعُر بكَ يَوماً
قادِرٌ بأَنْ يَجعلني أَنساك.

❛

رِضاك يا الله
أَلْبِسهُ لِقَلبي كَباقة وردٍ لا تَموت.

❛

هَلْ لنا غيمةٌ تَحملُ أَحلامنا إِليكُم
لعلّكم عَرَفْتُم كم كُنّا نُحبّكم، وكم أَصبحنا لا نَعرِفكم.

❛

كتبتُه ذِكرى ناشِفة
فَسال دَمعهُ لِيُبلّلني.

❛

قَد غاب البُؤس في جَوفِ رَحيلك
فَأَمطَرت سَحابةُ الرِّضا في قَلبي.

،

وليسَ لِلوداعِ قُبلةٌ سوى النِّسيان.

،

عِندما أُخفي العتَب بِداخلي، يَبقى قَلبي بأَلَمِه
إلى أَنْ يأتي اليومُ الّذي أَكرهُ فيه مَنْ كانَ عِندي كالحُبّ.

،

لِنتَخيَّل بعضَنا كلّما اشتقنا
فذلكَ هو لِقاؤنا الوحيد.

،

لستُ أَهوى المُضيّ إلى شيءٍ
ما استساغهُ قَلبي وعَقلي.

،

ومِن أَحدِ أَسبابِ الاختناق
غُربةٌ بَعد اقتراب
سُؤالٌ كَرهتُ إِجابته
شيئاً بَدأتهُ معي، ولَم تَستَطع إِنهاءه.

،

لا أَحد بحاجَة لِسماع أَحزان الغَير
لا أَحد يَمتلكُ قلباً آخر يَحتمِل.

،

مِثلما تَركتُ كتفي لِحزنك
كُنتُ أَشتهي كتفيكَ لِفرحي.

،

قَد يَبكي الغياب فَيأتي ليأخذَ قَلبي
لِيريهِ بأَنَّ الفُصُول تَتغَيَّر مِثلنا
وإِنْ كانت تَتنفسُ وعوداً لا تُرتَجى.

،

يَعزُّ عليّ فراق / حُلم
خانني وأَنا كُنتُ أَنساب لهُ بِرُوحٍ وفِيّة.

،

أُريدُ أَنْ أُصدِّق بأَنَّ فَرحي كانَ في صَوتِك يوماً
وأَنَّ بينَنا شيئاً لا يُمزَّق.

،

وقَبلَ أَنْ أَبُوح لك (بأَبداً)
أَرىَ طَيفَ الموتِ خلفَك.

‘

لا أُريدُ هذا الحُبّ
إذا لم يكُن حياة
وَلا أُريدُ أَنْ أَفيءَ إِليك مُشتاقةً يوماً.

‘

سأَشدُّ على يدَيْك
إِنْ كانت تُريد السُّكنى بِيدي
وسأفلتُها إِنْ كانتْ تَهوى الأَرضَ عَنْ سَمائي.

‘

ومِن حُسنِ حَظي بأَنَّني أَدعُ كلّ شيءٍ يَمضي
كما كُتِب بلا صرخةِ عودَةٍ عالِيةٍ
يُسمع صداها منِّي.

‘

أَنا أَعلَمُ بأَنَّ قَوْلَ حُزْني للَّه سيُريحني
وبكائي لهُ سيُثْلِجُني، عكسكَ أنت يا مَنْ أَتعبتني
ألجأ لِربِّي دائماً بَعيداً عنك.

‘

أُريدُ أَنْ أَغُضَّ الطَّرف
عَنْ أَيِّ شيءٍ تافِه منكَ يُؤْلِمني
أُريدُ أَنْ أُريحَ عَقلي وقَلبي
أُريدُ البرودَ وإِنْ كانَ لا يُناسِبُك إِنَّما سيُناسبني.

‘

تُؤذيني بالكَثير
وقليلُكَ مُجرّد نسمةٍ هبَّت
وغادرَت بلا أَثرٍ جَميل.

،

تُؤذيني بتجاهُلِك لِلَمعةِ عينيّ خَلفَ وشاحِ الشَّوق
بنسيانِك، بِخطواتِ مجيئِك ورَحيلك عنِّي
تُؤذيني بِفَرحِك بَعيداً عَنْ يَدي.

،

قَد سَئِم القلبُ ابتعادكِ القريب.

،

تَبسُّمي في وجوهِكم صَدقَة
والغَضبُ الّذي بِداخلي منكم،
عابرُ سَبيلٍ لا أَكثَر.

،

رُبَّما أَنسى يوماً جُرحَ صِدقك
ولكنيِّ لَنْ أَنسى يوماً سَعادةَ كِذبك.

‘

لَم نَفقِد سوى أَنفُسِنا
مَهما كَسرنا وغضِبنا وشتَمنا
فَنحنُ مَنْ أَحرقَ ذاتَنا وذهَبنا
إلى الجَحيم بقَدمِنا، ونَحنُ مَنْ سَيتَشِلُنا.

‘

إِنْ سامحتُكَ مرّة
لا يَعني بأَنَّني سأُسامِحُ مرّتَين
لا يَعني بأَنْ تَعود كما عَرفتُك
بل يَعني باباً كُسِر وتركتُ لك نافِذة لا تُدْخِلك.

‘

إِنْ كانَ صِدقُك سيُؤذيني، أَخْبِرْني به مَهما كان
ولا تُسْعِدْني بِكذبة أبداً.

،

أُكابِر في كُلّ شيء
وإِنْ كانَ الدَّمعُ سيلاً في صَدري.

،

مِثلما أَتمناكَ في سَعادتي
في أَلمي أَتمنّاكَ أَكثَر.

،

لَو عَلِمُوا بأَنَّ غداً آخِرُنا
لما تَركُوا في جوفِهم نصفَ الكلام
وَفي قلبِهم قَسوةَ البُعدِ وَفي كفِّهم نِداءُ الأَحضان
لما تركُونا بِحزْننا وحيدين.

،

لَو جرّبتُ البُكاء على كتفَيك
لَهانت جميعُ أَوجاعي.

،

كم كانت بَسمتُك تُحييني
تُعيد أرفُفَ السَّعادة في قَلبي مِنك
مِنكَ وحدك.

،

أَصبَحَ مِنَ الوَهْمِ أَنْ تُصدّق بأَنَّ مَنْ يُحبّك سيتحمَّلُك دائماً
سيفهمُك، سيَبقى بِقُربِك، سيموتُ بِبُعدِك.

،

قد تسقُطُ مِن عيني مِراراً وأُعيدُك
فقَطْ لأَنّي أُحبُّك، ولكِنّ حُبّي لَنْ يَكفي بأَنْ أَراك
وَقَدْ تَحزن فَتُغْلِق ستائِر القُرب مَع أَحدِهم
فقَط كي لا تُخذلَ مُجدّداً
وَقَد تُباع أَيامُك وسِنينُك مَع أَحدِهم بِدقيقة
وأَنتَ لا ردّ لكَ سوى الصَّمت المُنكسِر.

،

وإِنْ عُدنا، لَنْ تعُود أَرواحُنا كما كُنّا
وستَبقى تِلكَ الغصّةُ تأسِرُنا.

،

تهمِسُ سأتركِك وتضحَك
ويَئِنُّ قَلبي منها ليلاً، هيَ لا تعلَم ولكِنَّ الوداع يعلَم ماذا
يفعَلُ بي.

،

وبعضُ الأَعذار
تزيدُ الجرحَ جُرحين.

،

القَلبُ الّذي يَبكي دائماً
يَحتاجُك الآن أكثَر مِن أَيِّ وقتٍ مَضى
يَحتاجُكَ كآخر ولستَ أَنت.

،

كُلُّ الأَحلامِ استسلَمت في بحرِ غيابِك
وغرِقَت كطفلٍ يَتيم، لم يتعلَّم نِعمةَ العومِ مِن أُمِّه.

،

لم يكُنْ حديثاً عابراً عِندما أَخبرتُكَ بما أُحِبّ وأَكرَه
بلْ كانَ طلباً صامتاً بأَنْ تفعَلَ ولا تَفعل
لم أُخبِرْك بِأَقصى أُمنياتي كي تَسمَع
بل لِتُحقِّقَها لي
ولَم أَقتنِع بِحلو اللّقاءِ حتّى عرفْتُك
وَاقتنَعتُ بِمُرِّ الفُراق
قبلَ أَنْ أَراك.

،

يا الله أَرِح
قلباً ظمآناً، والماءُ بِقربِه.

،

فَلنُكن في الحُزنِ والفَرح
كاثنينِ تحتَ مظلةٍ (واحِدة) عِندَ سُقوط المَطر.

،

بعضُ البَشر كشالِ جدَّتِك
تجِد بهم الحُزنَ والدِفء.

،

لِرُوحي عليكَ لَوْمُ
وَلِلمقاعِد الّتي وعدتني بالجُلوسِ عليها يوماً
بعد الجفاف، ولَم تجُف
ولِلدُّنيا الّتي أَحَبَّت ذات الدَّهاءِ عنِّي.

،

لَو أَنَّ كُلّ ما في بالي يُقال
لَكَرِهني الكَثير، وأَحبّتني واحِدة.

،

وأَنا لا أُحبّ العودةَ مِن بعدِ الهجران
وإِنْ كانَ قَلبي مُنتظراً على العتَبة،
كَزهرةِ السَّماء.

،

أُريدُ أَنْ أَكُون سماءَك
حينَ الأَلَمُ يرفَع عينيك باكِية
وأَكون غيمةً تحضُن دربَكِ مِنَ الجِراح.

،

وأُدركُ غلطي
عِندما ألمَحُ البؤسَ بَيْنَ عينَيّ
مِنك
فَيهرعُ قَلبي حاضناً حُزْني
وكَأَنّهُ ليسَ منِّي.

،

غداً يعُود النُّور
يرقُص على حبلِ القُرب، وتكونُ الذِّكريات
كَمِلحٍ ذابَ مَع رملِ البِحار
وتغدُو أقدامُنا أَثراً سَيزُول.

،

أَخْبِرْني كيفَ أَستجيب لِقُربِك
وأَنا أَسمعُ أَجراسَ وداعِك تضربُ خُلخال الأَرض ناعِسة.

،

والخشيةُ بِداخلي تكبُر
والدَّمعُ يَبكي فراغاً، إِلهي أَرِحْني في إِيمانك.

،

علّمتُ نَفسي بأَنَّ القُربَ حُلمٌ خاسِر

والطَلَبَ لن يَسكُن لِساني يوماً، والرّحيلَ مِنَ السُّوءِ مفتاح
لِلهناء، والكذبَ سماع وهمّ مِن فاهٍ تالِفة.

،

ثمّة الآن من يُمزّق رَسائِلك
ويغني للنِّسيان، ويسيرُ في أَرضِ الله بِدُونِك.

،

قَد كانَ قَلبي يشتهي دفءَ يديك
عِندما يُبكيهِ الظمأ.

،

إِنْ صادفتي عُبوري يوماً
دَعي لهُ الطَّريقَ بِسلام
ولا تَسألي عَنْ حالاً ما كانَ همّهُ
في وجُودي يعْنيكِ.

،

وأَكْتفي
بَعدما يلوحُ لي الصَّبرُ
وداعاً، ويحدُث ما لَم يَشأْ بهِ قَلبي.

،

والبعضُ يَبقى أَرضاً مهما زيّنتَ بعينِه الصُّعود
وعلّمتهُ أَنَّ لِلوردِ رائحةً تَمُوتُ بالكَذِب.

،

أَحتاجُ أَنْ أَنسى فَرحي معهَم أَوّلاً
وأَنسى أَكاذيبَهم، لِتَعْبُرَ ذِكراهُم بِدُون ضَجيج.

،

عِندَ المطَر أَتمنّى لَو كُنتُ قَطرةً داعبَتْ يديكَ لِوهلَة
ثُمَّ قطَرةً ضمَّت روحَك وجفَّت بهدُوء.

،

والتَعبُ أَنهكَ نفسَ العينَين
اللّتين ابتسَمتا لكَ يوماً.

،

ما زالتْ رُوحي تشعُر بالغُربة معَك
ما زالتِ الشَّمسُ تُشرقُ نصفَ إشراقَةٍ بَيْنَ كفَيّ.

،

تعلّمتُ كيفَ أَسكُبُ الأَلَمَ في كأسِ الفَرح
وأنتشيهِ ضاحِكةً، وكأَنَّ الغَيمَ الأَسودَ
ما احتضَنَ حُلمي في اللَّيل.

،

ما عادَ الدَّمعُ يتَّسِع لِمناديلك
وما عادَ الصَّوتُ سعيداً حين يذكُر اسمُك،

وما عادت بي رُوح
لِلبقاء.

،

خُذني غيمةً بيضاء في رِضاك
يا الله.

،

ما زالَ العتبُ حاراً يحرِقُها،
ما زالَ وجهُكَ بارداً لا يشعُر
والتَّعبُ ما زالَ غافِياً في جَدائلي
مُستيقظاً في قَلبي، وأَنا هناكَ
على غُصنِ المَطر أنتَظِرُك.

،

إذا لَم أَكُن في عينَيْكِ نَبضاً
لا داعي أَنْ أَكونَ في حياتِك رُوحاً.

‘

الشيءُ بعدَ الطلب يكونُ باهتاً بِلا طَعم
يَكونُ مُؤلماً أَكثَر مِن قَبل.

‘

والقَلبُ إذا سَئِم الجَفا ولّى مُبتعداً وأَدبَر.

‘

رُباعيّةٌ واحِدة
وكِتابٌ عَتيق تَصدَحُ بداخِلهِ غيمةٌ دافِئة
وشَوقٌ التقَطني
كفيلٌ بأَنْ أَتّخِذ الدُّنيا والنَّاس عزاءً ولا أَراهُم أو أَسمَعُهم.

‘

مِن أَجلِك
سيُغرّد الحُبّ خُلخالاً في ساقِ الوَعد

وستختَبِئُ خُلجان الدَف بَيْنَ عَناقيد العِنب
وتَهيم العيونُ في أَحضانِ تُربة فارس.

ʻ

قَد تَغفُو عيناكَ اليومَ
وغداً تُبصرُ بما كنتَ بهِ أَعمى
وتَجُولُ باحثاً عَنْ نخلةٍ
بسَطَت السَّماء علوًّا واحتوَتك.

ʻ

تعوّدتُ أَنْ أُغلِق الباب
خَلفَ الرّاحِلين
بِقوّة
وأَنْ أَفتَحَ بَيني وبَيْنَ ذاتي أَلفَ عِتاب
وأَلفَ شَوقٍ وأَلفَ نَدم
وأَلفَ بُكاء.

،

وأَحملُ اسمكَ قبلَ اسمي
إلى دَربِ الحُلم
وأَقُولُ لأُمِّي: أَمانةً
كانَ هذا اليمامُ
وبُعدي لا يخونُ كما علّمتني.

،

بَيْنَ أَصابِعكَ تركتُ ذاتي
ومضَيتُ عاتبةً على حُبّي المنفيّ هنا.

،

والعاجُ مِن خلفِ ستائِرهم ذابَ شَوقاً
وهو يُعانقُ كلَّ يومٍ شمسَ
قدومِهم خِلسةً بلا وَداع.

،

تظُنُّ بأَنَّ الجرحَ التأم
فَتقفُ على حافةِ الرّحيلِ لِتودِّعَه
وكُلّ ما يأتيك هُو فَرحُ ضَحْكاتِهِم، فَيَبْكي أَلَمُكَ وتُعانقُ
الرّجُوع صامتاً.

،

إِياكَ أَنْ تَرحَلْ
والعُمرُ قد أَعطاكَ ماءَهُ وأَخذَ منكَ
الزَّهر والمَبسم
فَتغدُو كَقاعٍ هَجَرَ الرَّبيعَ
بِعمَدٍ أَرعَن.

،

كالصَّدى يقرعُ قُرب البُعد
هارباً مِن أَنامِلهم لـ "الله" ذاك الحُلم.

ʻ

ضُمّني إلى قلبِك
واطرد أَحزانهُ مِن عَتبة العَين
وفُكَّ قيداً أَدمَى حُلو المنام، وهَدهِد الطفلَ الّذي بِداخلِي
على ترانيمِ حُبِّك وحدَهُ.

ʻ

إِنْ رأتكَ عيناي
لا تلُم شَوقاً اهترئ لِقاءً
فَغاص في حُبّك ناسياً الوقْتَ والمكان.

ʻ

كلّما صادفتُ مَقعداً يئِسَ مِن انتظار البَشر
أَرى خيالكَ أَفترَشَهُ بيتاً بلا رُوح
كالوَهْمِ والزّغبِ المُحال.

،

مِن بَعدِ دَمعِكَ تيتَّمَ الحرفُ
مُنبثِقاً، خَجِلاً مِن وَجهكِ الضَّاحِك
وأَنا أَعلمُ بمدينة الحُزنِ داخِلك
ولَو استَطعتُ لمحوتُ كُلّ شَوكةٍ فيكِ بِعيني.

،

دعْني ذِكرى بريئة
ذاتَ جديلةٍ صغيرة، نامَتْ يوماً على صَوتِك
وقُصَّت.

،

أَختبئُ خَلفَ رَذاذَ ظِلّك
وأَبكي عَودةً انتهى أَوانُها رَغماً عنِّي.

،

لا بدّ مِن اختيار النِّسيان
بعدَ أَنْ ذبُلت أَلحانُ الغِناء عَنْ دارِنا.

ʻ

ثُمّ أُدركُ بأَنَّني قوِيّة حينَ أَتَجاهَل
نِداءً مزّقَ بقايا الصِّدقِ عِندي قَبلَ هُرُوبِه
أُدرُكُ بأَنَّني قوِيّة بالله.

ʻ

الدَّمعُ في وجوُدِكِ خطيئة
وَيا ليتَ قُربُكِ مطراً يُعانقُ وجهي.

ʻ

خُذِ الزَّهرَ مِن صومعةِ الملائِكة
وَأَلْبِسهُ تاجاً على قَلبي
وَقُل لي هذا عَهدي واللَّهُ شاهِدي
خُذني إِليك
غيمةً ضاع ظِلّها في وجُودِك.

،

كاليمام كُنّا
فوقَ أَيّ مدينةٍ حزينَة
نمُرّ بها لِنُضحِكها.

،

ما اعتدتُ أَنْ أَتُوه
في مساحاتِ عَطائِك، كما اليوم
أو أَكونَ ضائِعةً وقُربُك ما زالَ يرسِمُني
فَأَخْبِر قَلبي بأَنّكَ العَدم.

،

أُريدُ أُغنيةً اختبأَت في قَميصك
ساعةَ حَنينِك لي، ظلّت تُردّد فراقَها بجانِب شُرفتي.

،

أغزليني وحدي في ثنايا ثوبِك
ولا تَبكي على رَحيلي، خُذي ضحكتي وتراً في العُودِ

وَاعزفيه
لعلَّ اللّقاء يعشقنا يوماً.

،

كالموجةِ أَنتِ
تأتي لتذهبي، وأَنا أَكرهُ البَحر.

،

أُركني شجرةً يا الله
عِند أَقربِ مسجِد
في مدينةٍ لا تعرفُ سوى المطَر
وبِضعُ بشَر.

،

تَسيرُ على أَرصفةٍ حرقَتْها شَمسُ الغِياب
وَكأَنَّها تَئِنُّ انتظاراً لمطرٍ يَحنُّ عليها احتضاناً.

❛

كَمْ تقاسَمْنا اللَّيلَ وَالضَّوءُ وَقُبَةَ السَّعادةِ ومِئْذنة الله
مَع مَنْ جَهِل الله، وجَهِل مَنْ نحن.

❛

ما ذنبُ نَورسٍ تاهَ في لُجّةِ جَهلِك
باحثاً عنِّي، أَنْ أَتركَهُ وَأَسيرُ خَلفَ خيالِك الأَرعَن خاسِرة
وَكأَنَّ سُفنَ الكَونِ ما لَها مرسى سوى لدَيك.

❛

أُحبُّ حُزنك عِندما تأتي لي
ويَشعُر قلبُك
بأَنَّني الفَرح، وَحدي الفرَح.

❛

الكونُ كلّهُ لا يُذكر، أَمام يدٍ شدَّت على يَدي
لِتنام فِي أَحضانِ ثوبِها، مُترفَة.

،

كانَ خيالاً انساق
إلى ممرٍ لا يتّسع لثالِثِنا، وهَبَط تَوسّداً كي لا يَموتُ الوَرد.

،

قد أَتقاسمُ مَع النِّسيان أَوّلَ حرفٍ باسمك
لأَستأْمِنهُ بأَنْ لا يَزور ذِكرياتي لدَيك
وَيدَع كُلّ شيءٍ كالصّدى في بالِك لا ينقطِع.

،

أَنا الّتي تُريد الموتَ على صَدرِ الغُفران
ثُمّ العَيشَ بعيداً عَنْ خَطيئة لِسانِك.

،

فُؤادٌ انشَطر
على حافةِ سُورِ الصَّباح

وَلكِنَّ الله أَراد لهُ الحَياة / الانعتاق عَنِ الأَلَم.

،

مِنَ الغَريبِ أَنْ تَجِد وفاءً مِن أَشخاصٍ تركتَهم
ولا تَجدهُ مِن أَشخاصٍ أَبقيتَهم في حياتِك
أَنْ تَجِدَ منهُم رسالةً بعدَ كلِّ حِين
تُخْبِرُكَ أَنّكَ ما زلتَ في قلبهم.

،

لَو أَنَّ هناكَ مَطراً يَجمعُنا
برداً يُجْبِر كفَّنا الحزينة أَنْ تحتضِن بعضَها.

،

خُذْني بدُعائِك لِطريقٍ يُرضي الله
لِفِردَوسِهِ الّذي لَنْ نَرى بِهِ دَمعَة أَلَم
كَسْرَةَ حُلمٍ لَم يَتحقَّق.

ʻ

ليسَ هناكَ أَجمَلَ مِن شخصٍ يَفهمُك مِن نَظراتِك
يَراكَ / فيُلبِّي
يَبقى بِجانبِك مهما حدَث
حتّى أَنَّ همّهُ كلّهُ أَنْ تَجِدَ شَفَتاكَ السَّعادة.

ʻ

تَبكي أَطفالاً ونَسلاً لَنْ يَدوم على سجادةٍ فارسِية
فيُخبرها قَلْبُها: اللَّه عينهُ لا تَنام
وَمَن مَرّ اليومَ ضاحِكاً سيعبُرُ جِسر البُكاء غداً.

ʻ

لَم تَكُنْ بَيْنَ الشّفتَين
إِنَّما هيَ نوايا كالسُّكّر والمِلح، ذابَت حتّى الموت
في حقيبةِ الضَّجر
ولَم يبقَ سوى غُبار يَسخَر مِنَ القَهر.

،

قَد كانَ وَجهُك تَعويذةً عَجَز الوفاء
أَنْ يُبطِلَها.

،

القَلبُ مُثقلٌ بِأَحلامٍ لم أَحْضُنْها
إِنْ أَتيتَ إِليكَ بِنصفها
أَرِحْني.

،

بَعضُ الأَخطاء أَعذارُها
كالصَّلاةِ بلا وضوء، لا تُقْبَل.

،

رُغمَ أَعراس الحُزن في قلبِها
إلاَّ أَنَّها كانت تَنساها بمجرّد قُربِك.

،

أُريدُ أَنْ يَمضي بِنا العُمر
وأَنا بِجانبِ كُرسيّ دفئِك
أَنْ نُساير بياضَنا، وَنعشَق تَجاعيدنا،
وَنردِّد مَقطوعاتِ الماضي، وَنُقبِلُ يومَ لِقائِنا
يداً بِيَد، قلباً بقَلب.

،

إذا لَم أَجِدْكَ في حُزْني
فما حاجَتي لكَ في فَرحي.

،

ليلاً وَكوخاً وَمطراً وَبرداً
وَعينَيّ وَيد مَنْ أَهوَى وأَنا وَصوفاً لا يهترئ
أَتجمعُنا يوماً يا الله؟

‘

كالغَريبة مَرّت على قلبِه بَعدما كانَ لَها
رأتْ ذُبُولَ الذِّكرياتِ وَالأُغنياتِ وَالقُبلاتِ وَشجَنَ الوعُودِ
واللَّيالي
ما عَداه، لم تَرَه.

‘

ذِكراكِ ما اهترأَت
وَرُوحي لاسمك داعِية
سَعيدَة أنّكِ لَها حُباً لا ينتهي.

‘

لأَنَّني أُؤمِنُ أَنَّ البَوحَ للغُرباء خَطيئةٌ
ولِمَنْ نُحبّ ذَنْب
سَأكتُب ثُمّ أصمُت.

،

تِلكَ النّسمَة الضّائِعة
الّتي أَتتْ مِن آهِ قلبِك
آلمتْني بعدَ أَلمِك
فأَوْدَعْتُها عِندَ اللّهِ لتَنْجلي وأَرى فَرحَ ثَغْرِك.

،

قَد أُغْلِقُ أَبواباً تُرِكَتْ خَلفَكُمْ لَنْ أَفْتَحها
وَقَد أمحي جُروحاً نَزفَتْ بعدَكم
وَقَد أودِع كُلّ شيء
ما عَداكم.

،

إِنْ أَتيتُكَ باكِيةً لا تَمسَح دَمعي
وَلا تَقُل لي اهدئِي، فقَط أَنصِت
لأَلمي ثُمّ اغمرني بِحنان.

،

حتّى بُكاءُ النّاي
أَوجَعَ ثَغْرَها
كَصوفِيّ صام عَنِ العالمِين
وَبكَى.

،

خُذْني إلى عُمرِ الطُّفولةِ وَراحةِ البال
خُذْني إلى أَمان انتُزع منِّي مِن سِنين
وَباتَ عَقبةً في أَوقاتي
خُذْني إلى دَربٍ لا يَعرفُ الحُزْنَ
وَدَعْني أَكبرُ عليه.

،

خُذْها دُعاءً بَيْنَ شَفتَيك في كُلّ صلاة
وَاطلُب سَعادَتها بِشيخوخةٍ معَك.

،

ما يَسقُط مِنَ العَين لا يَعود
كالدَّمعَةِ لا خَلَف لَها.

،

لأَنَّ اللَّيلَ لا يرحَمُ الذِّكريات
تعالَ نتشاركُ حُزْنَنا سَوياً، وَأضعُ قَلبي بَيْنَ كَفَّيْك وَقلبَك
بَيْنَ كفيَّ
نُهدْهِد تَعبَنا لِيرتاح
وَنَنْسى مَنْ نكونُ وَما نحن.

،

أَخشى مَحطاتِ الوداعِ الّتي تَسلبُ
منكَ شيئاً قبلَ الذّهاب
أَخشى أَنْ يكونَ لي مَقعدُ
انتِظارٍ بَيْنَ أَحزانِها.

،

اللَّهُمّ لا تَجعلْ عذابَ الهَوى يطُرقُ قَلبي.

،

لا تدري أَيَّ وجهٍ
سيبتَسمُ لكَ العُمرَ كُلّه
وَيُخبِرُكَ بأَنَّ الرُّوحَ أَتتَ مِنك
وَبِدُونِك لا حياة، لا هناء، لا راحة
فَأنتَ وَحدَك أَنفاسهُ.

،

ليسَ وَداعاً
حينَ تترُك نَبضاً لديكَ في
أَروِقتهم.

،

وبعدَ ماءِ الملح
كانتْ تَحمِدُ اللَّهَ وتبتَسِم.

،

إِنْ أَمسكَتْ يدُكَ غَيري
فلا هنيئاً لَها بِدفئِكَ، وقُربِك.

،

مِنَ المؤلِم أَنْ أَنتظِر
فَراشةً بَيْنَ حِبْرَين، وَأقُولُ بأَنَّها ما زالت يرقةً
على أَعناقِ الفَرح
وستأتي
مِنَ المؤلِمِ أَنْ لا تَرى نفسَك حتّى بالمرآة
أَنْ تتجنَّب كُلّ شيء
وتستَسْلِمَ لإِشارةٍ تَلكزُك
بأَنّكَ ما عُدتَ للطَّريق تعرِفُ عِنواناً
مِنَ المؤلِمِ أَنْ تَحْرِقَ ذِكرياتِك
كي لا تَبكي كلّما رأيتَها، كي لا تَشعرَ بحنينٍ أكثَر
كي تَقتنِعَ بأَنّكَ صرتَ أكبَر
وَالحُلُم صارَ أصغَر.

،

أعتقدُ بأَنَّ كلاماً كثيراً سيمُوت
في حَضرةِ عناقٍ كفَّين.

،

إِنْ أَتَتْ، تأتي مِن كُلّ جانِب
كالموجِ تبتَلِعُكَ كلُّ الأَحزانِ، كلُّ الأَوهامِ، كلُّ الآلام
وَرُبّما تَبكي بِسُؤالٍ متى سيأتي الحنان!

،

أَنا الحزينَة الّتي احتوَتك
أكثرَ مِنك.

،

وَفي القلبِ عِتابٌ كثيرٌ وَاشتياقٌ أكثَر
إلاَّ أَنَّهُ لنْ يُقال.

ما الضَّير بأَنْ تكُون نَجماً في سَماءِ الله
وعِندما أَبكي دعاءً
تنزِلُ لي نُوراً!

أُفضِّل في حُزْني أَنْ أَكُونَ وَحيدة
بَعيداً عَنْ كُلّ شيءٍ، حتّى مِن كتفٍ أو يدٍ تمنَّيتها.

أَرتَجِي عَودَتي طفلَةً حينَ يُباغِتُني الحُزن
كَيْ أَرتمي في أَحضانِك بِلا خَجَل.

رَحِمَ الله دُموعاً لَم تنَم
أكثَر مِن كفوفٍ بارِدةٍ لَم تأت.

‘

إِنْ رأيتَني بعَدَ تَرْحال
لا تقُلْ لي عَنْ شَوقِك
ولا عَنْ عِتابِك أو لَومِك أو حتّى نِسيانك
امضي وكأَنَّك لَم تَرني.

‘

إلى امرأَةٍ احتَوتْ رُوحي في قلبِها
وَجَعلتني فراشةً آمنت
بِأَنَّ السَّماءَ أَنقى مِن وردةٍ نَدِيَّة فِي الأَرض
أَعشقُكِ.

‘

تُضايِقُني كِثرةُ الوُجوهِ وَوقاحتُها أَمام عينيّ
تُضايِقُني إِنْ تَجاهَلتَ رِسالةً منِّي وأَنا بِقُربِك
تُضايِقُني إِنْ شَكوْتُ لكَ جُرحي وهَزَزتَ برأسِك وكفى.

،

وَيحدُث أَنْ يدمَعُ وطَن عَنْ وطَن
وَأَنْ أَتشارَكَ بؤْسي مَعَهم
بِأَلَمٍ، بفُقدٍ، بِحاجَة لِهويَّتي الأُخرى حُرّة.

،

كُنتُ سأَرضَى بِمكتبةٍ عامِرةٍ،
وَكوخٍ مِنَ الصَّندل
وَعلبةٍ مليئةٍ بالشُّوكولاته البيضاء
وَبِروازٍ لنا بجانِب وِسادةٍ مِن حَنانِك.

،

قلبٌ كقَلبي لا يَصلُح لِتبادُلِ
تُوتِ الفرَحِ، أو لِغيمةِ قُرب
لا يَصْلُحُ سوى لِعطاءٍ ساذِج لا يَعني لي شيئاً
عَطاءٍ والسَّلام.

،

إِنَّني في وطَنٍ
لَم يَفتَح لي نَجمةً في جَوْف بُكائي
كي أَصمُت.

،

حُزْني كانَ أكبرَ مِن أَنْ تَحتويه عينَيْك
ولَم يكُن قَلبي مُلائِماً لِمقاس قلبِك، ويداك ضاقَت عنِّي
فَرحلَت رُوحي عَنك.

،

لا أُؤمِنُ بالبَوْح لِلغرباءِ ولِلأَقرِباء
لا أُؤمِنُ بِقلبٍ إِنسِيّ سيسمعُنا صِدْقاً.

،

سأَدعُ لَكِ كتِفَي
إِنْ ضاقتْ بِك المُدنُ يوماً.

،

مِنَ اللّؤمِ أَنْ تأَخذَ يَدي عنوةً
وبعدَ الرِّضا تترُكها!

،

أَنتَ حقاً تُحِبُّني
إِنْ كُنتُ أَنا أَوَّلَ أَحلامِك
وَإِنْ كانتْ دَمعتِي أَوَّلَ أَحزانِك، وَإِنْ كانَ قُربي أَوَّلَ
أَفراحك.

،

مُترفَة بالأَحلام
حدَّ أَنَّني ما توقَّعْتُها أكبَر منِّي
مُترفَة وما زلتْ على حِبالِها مُعلّقَة.

،

ما أجمَلَ أَنْ يَرزُقَك اللَّهُ النِّسيان

لأَلَمٍ ظَننتهُ لَنْ يَلتَئِم
يُرزقَكَ بسعادَةٍ عَنْ دُموع حُزنِك
فيما مَضى.

،

طلبتُ الصَّبرَ مِراراً
حتّى خانَتْني نفسِي،
فَيا ربُّ أطلبُ الرِّضا لا أكثَر
الرِّضا بكُلّ شيء.

،

أُقيمُ في الجُزءِ المفقودِ مِن دَمعَةِ أُمّي
وأُمنيَةِ جَدّتي.

،

رَغم أَنَّنا نَكرهُ الفُراق
إلاَّ أَنَّنا نطرُقُ بابَهُ كُلّ يومٍ بما نفعَل.

،

لأَنَّ القَلبَ الرهِيف
مُتعطّش لِلحنان مِنْ مَنْ يُحبّ
أَحياناً يرضى بِكلمَة، لعَلَّ الفعلَ بعدَها يأتي.

،

نِسمةٌ خَفيفَةٌ مِن عطرِهم
كفِيلةٌ بِبُكاءِ البيلسانِ على عُنقي.

،

أَحببتُ معانقةَ الصَّدى
حِينما نطَقَتْ حناجِرُهم
لَنْ نرحَلْ، لَنْ نتغَيَّرْ،
لَنْ ننساكِ، وَلَنْ نخذِلَكِ
حتّى أُكذِّبَ ظِلالَهم
ولا أَبكي.

،

حتّى وإِنِ انسابَتْ مِن بَيْنِ يدَيك
انتَشِلْها حُبًّا
كُنْ لَها رجلاً.

،

دَعْني نِسْمةً دائِمةً في صباحِك العُذري
وَأَيقظني فِي ليلِك بدَل الأَرق.

،

سَأَدعي الحُزن فوقَ حُزْني
كي يَبقى قلبُك يُعانق قَلبي.

،

صَباحكُ جنةٌ
لَنْ تَجدِها عِند غَيري
ومَساؤك وَشمٌ لي في قلبِك لا يَزُول.

،

يُغرِيني فِعْلُك لا قَوْلُك
لِذا وَفِّر علينا رُخَص الكلام.

،

كُنتُ أُؤمِن بأنَّ يدَيَّ
لَم تُخْلَق عبثاً، حِين احتضنَت يدَيك.

،

نثرتُ حُبِّي على الغَيمِ الأَبيَضِ حتّى إذا أَمطَرت
احتضَنَتْكَ كلِماتي بدلاً مِن ذِراعَيّ
نِكايةً في البُعد.

،

أَعْطِنِي حُبًّا كأُمّي
أَعْطِنِي وفاءً كقُرْبِها، لأُؤْمِنَ بك.

‘

تتباهَى العُطورُ إِنْ لامست كفَّكِ يا أُمِّي
وَتتَعطّرُ هيَ بدلاً مِنكِ.

‘

أَكذِب إِنْ قُلتُ أَنَّ حُدودَ وطَني رَفَعتني كَحدودِ حُبِّنا
لكنَّني لَنْ أَخُونَ وطَني ولا حُبِّي.

‘

بَيْنَ أَبياتِ عِشقِ البدوِ
ستَجِدُني مَع وفاءٍ
لَم تَعْرِفْهُ أَنتَ ولا أَهلُ المُدن.

‘

خمسةُ أَصابِع نادَتكَ اليوم
شَوقاً، حُبًّا، حناناً، أَماناً ووَفاء
فأَسكتهُم قَلبي.

،

قَبل أَنْ ترسُمَ
لي مَنزلاً مِنَ السَّعادة
افْتَح لي باباً واحداً لأَقتَنع بأَنَّ حُبَّكَ جَنّة.

،

لَو الحبِيبُ يزهِدُ في الهَجرِ كَزُهدِ غَسقِ الدُّجى
لَقامَتْ أَعراسٌ في القُلوبِ قَبل الملا.

،

بعضُ الأَوجاعِ تزرَعُ فينا نبتةَ صبَّار
يُدمينا شوكُها
وَلكِنَّها تبقَى نبتَة.

،

أَرسلتُ لكَ مِنَ السَّماءِ غيمَة دُعاء،
تأخُذك بعيداً حيثُ الأَمان

حيَثُ تَنام طِفلاً في أَحضانِ الزَّهرِ ولا تَبكي.

،

علِّميني أَنْ أَنام قريرةَ العينِ وَكأَنَّ رُوحي لَم تُشَوَّه
علِّميني كيفَ أُبْعِدُ قذارَتِهمْ عَنْ قَلبي وأَنسى
علِّميني كيفَ أَكونُ بِخَير
يا أُمِّي.

،

يا عُمراً وُلِد في قَلبي
إِنْ هجَرتَ
كُنْ قاسياً، لأُعَيِّد مَولدي بِلا ندَم.

،

سَئِمتُ أَنصافَ الفرَح
وَسَئِمتُ اكتمالَ الحُزن
بَيْنَ كَفّيك.

‘

كُنتُ أَدَّعي الحُزنَ وَالأَلَم
فقَط لأَرى كفَّكَ تُسابِقُ الرِّيحَ وتحَتضِنُني
كُنتُ أَبتعِد
فقَط لأَرى في عينَيْك خَوفَ فُراقي.

‘

أَدنُو إِليهِ وَكُلِّي عِتاب
ويُغرِقُني بَيْنَ حرفَيْنِ مِن ثَغْرِ القمَر
فَغُدقت بِحُلوِه ساعةً، كأَنَّها دُنيا مِن رَبِيعِ الزَّهر
فَأَعُود أُقسِمُ كاذِبة وَأَرضَى بِما لا يُغتَفر،
لأَنَّني نَسيت مُرَّه وما فعَل
لِيتبَسم في وَجهي النَّدى وأُقحوان المطر.

‘

خُذْ قُبلةً مِن ثَغرِ السَّماء
وهَبْ لي مَطراً مُقدّساً يَغْسِلُني مِنكَ قَبل أَنْ تَرحل.

‘

لم أَتذوَّقْ طعمَ الموت
لكنِّي تذوّقتُ طَعمَ غِيابِك،
فمارستُ الموتَ في الغياب
كما يُمارِسون الغِياب في الموت.

‘

بَيْنَ جرَّتي عسَل ولِدَتْ رُوحُ أُمِّي
وَبَيْنَ كفَّيها كبرتُ أَنا
وَمِن شهدِها صمدُت أَلفَ مرّةٍ
كفقير نحلٍ لا ييأَس.

‘

وحيدةٌ كَدُميةٍ نُسيَتْ على رفٍّ كوخٍ قديم
فَطِنَتْ أَليفَتُها بأَنَّها أكبَرُ مِن أَنْ تحتضِنَها مِن جَديد
وَتُشارِكُها وِسادةٌ واحِدة.

،

أَحتاجُ بُروداً يُنسيني تكدُّسَ الخيبات
بَيْنَ كلِّ ميلادٍ أَتخطَّاه.

،

لا تَحكموا عليّ
قابلوني وَاترِكوني باحترام
وَاسقُوا ميزاني عِند مَوتي بزعفران الدُّعاءِ لي.

خِتاماً:

يا الله اجْعَلْ هذا الحَرفَ شاهداً لي لا عليّ

فقَد أَراحني أكثَرَ مِن عِبادِك.

1435هـ

أَحضاني
كافِيةٌ بأَنْ تكُونَ غَيرُ وافِية
لأُمِّي وَأَبي / وَلِجميع مَنْ عانقَ سماءَ أَيامي
بِغَيمةِ حُبّ هذا الحَرف.